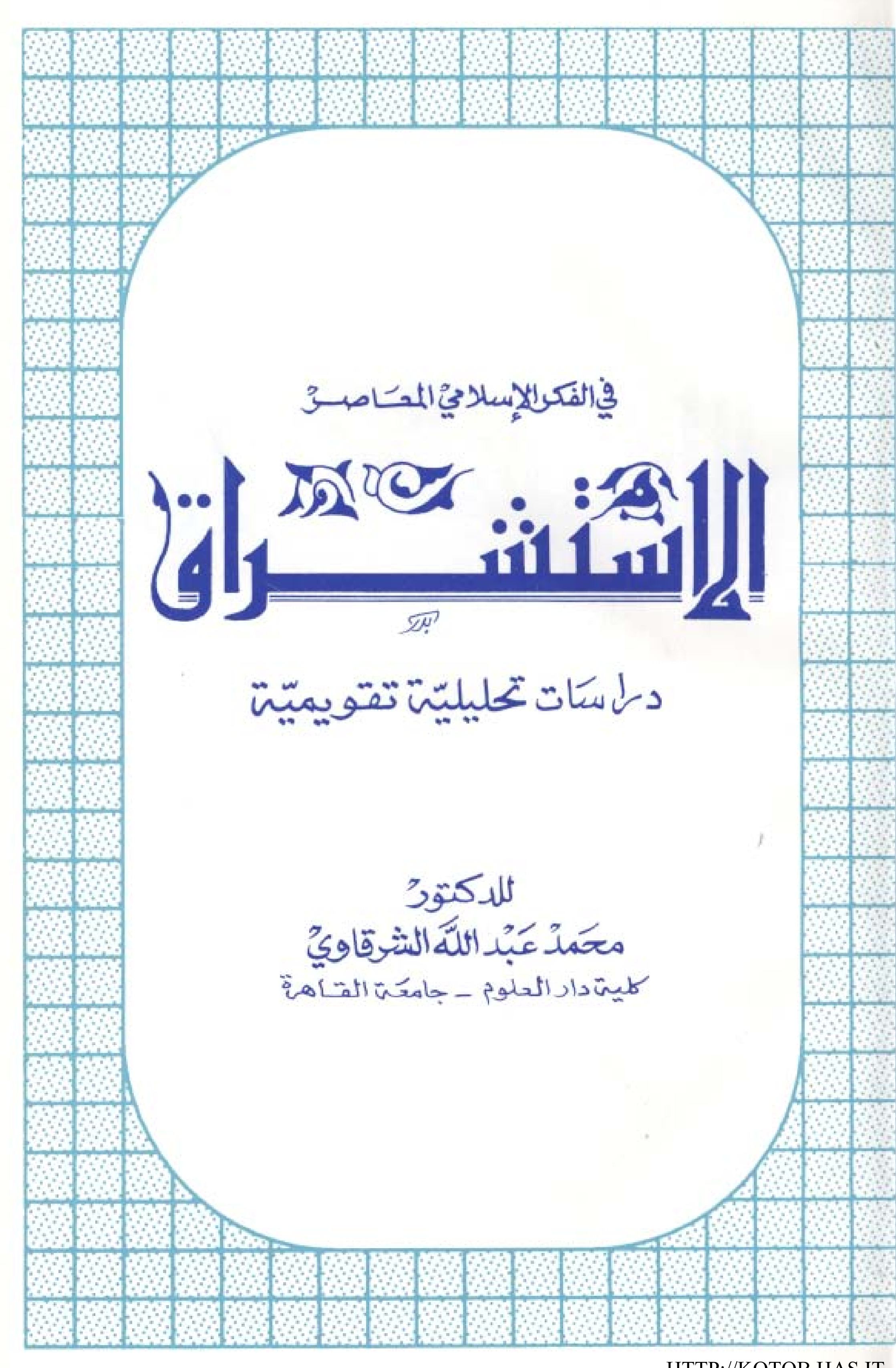


في الفكر الإسلامي المعاصر

الاستشراق

دراسات تحليلية تقويمية

للدكتور
محمد عبد الله الشرقاوي
كلية دار العلوم - جامعة القاهرة

في الفكر الإسلامي المعاصر

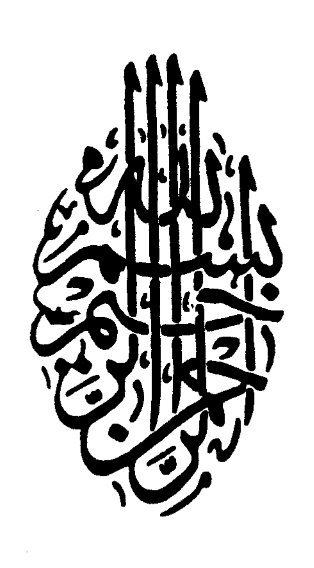


دراسات تحليلية تقويمية

للدكتور

محمد عبد الله الشرقاوي

كلية دار العلوم - جامعة القاهرة


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة

الحمـد لله ؛

وأصلـى وأسلم على رسول الله، وآلـه وصحبـه ومـن والاه :

ثـم أمـا بعـــد :

فمما لا شك فيـه أن الاستشراق والمستشرقين قـد بذلوا أعظم الجهد وأخطـره فيمـا يمكـن أن ينـدرج تحـت مـا يطلـق عليـــه:" **الحـوار بيـن الحضارات**"، وقـد درس بعض الباحثين هذا الجهد الكبير وقيمـوه وذهبـوا فيه مذاهب شتـى ـ بين مادح لا يرى فيـه عيبـاً ولا عوجـاً، ولا أمتـاً ولا نقصاً، وقادح لا يرى غير السلبيات والمثالب .

وأرى ـ وأرجـوا أن أكون مصيباً ــ أن هـؤلاء وأولـئك قد سلكوا مضايق التعميم والأحكام المسبقـة وردود الأفعال، فالواقع أن الاستشـراق ظاهرة قـد حدثت نتيجـة أسباب نظريـة وعملية ولا تـزال مستمرة إلـى يومنا هذا، وعلى ذلك فإن التعامل الموضوعـى معها، درساً وتقـويماً يعـد من المطالب العلمية الواجبـة، بـل المتعينـة .

ومما يؤسـف له كثيراً أن بعض هؤلاء المادحين بلا تحفظ، وأولـئك القادحين بلا حدود: لم يقرأوا بأنفسـهم مـن إنتـاج المؤسسـة الاستشراقيـة الهائل ـ بل إن بعضهم لم يعط الأداة لذلك ـ ما يمكنهم من الحكم السـديد المؤسس على حيثيات صحيحة من دراسـات القـوم أنفسـهم قديمـاً وحديثـاً ومن هنا جاءت أحكامهم كلية قاطعة، وهذا ما تـأباه طبيعة البحث العلمى ومناهجـه الصحيحـة .

وللاستشراق فيما يتعلق بالفكر الاسلامى، أو قـل فيما يتعلق بالحوار بيـن الحضـارتين الاسـلامية والغربيـة ثمـرات إيجابيـة متعـددة يستـحـق

كثير منها الذكر والتقدير، ومن ذلك مثلاً:

١ ـ هذه الجهود الكبيرة التى بذلهـا بعض المستشـرقين لتحقيق ونشر كثير من الآثار الاسلامية المهمة وغير المهمة ومعاناة قراءة مخطوطاتها مع الصبر الجميل والتحرى والتدقيـق فـى إخراجها، فـى وقـت لـم يكن بعض الباحثين فى العالم الاسلامى ليعرفوا عن هذه الآثار غير الإشـارة إلى أسمائها أو أسماء مؤلفيها فحسب .

٢ ـ كما أن جهود المستشرقين فى جمع المخطوطات الاسلامية ـ بكل الوسائل ـ من شتـى الأقطار والأمصار وحفظها غير خاف على الـدارس المنصف، وأكبر من ذلك العمل على تصنيف هذه المخطوطـات ووضـع فهارس لها تسهل مراجعتها، وتيسر الاستفادة منها فى مختلف مكتبات العالم شرقاً وغرباً، وما جهد بروكلمان ـ ثم متابعة سزكين له ـ ببعيد .

٣ ـ ومـن أبرز أعمال المستشرقين وأكثرهـا ثمـرة، ترجمـتهـم الكثير من أمهات المصادر والمراجع الاسلامية ـ فـى شـتى فـروع المعرفـة ـ إلى اللغات الأوربية الحديثة، مما أتـاح للغربييـن الاطـلاع بأنفسـهم علـى جانب غير قليل من التراث الاسلامـى، وقـد كان لهـذا العمـل أثـر عظيم فى فهم بعض العلماء الغربيين الاسلام على حقيقته أو أقرب ألى حقيقته، مما أثمر تحسناً نسبياً لصورة الاسلام فى فكر ووجدان كثير من الغربيين فى العصر الحـاضر. وهـذا ركـن أساسـى للحـوار بيـن الحضـارتين؛ إذ الانطلاق من فهم صحيح متبـادل لطرفـى الحـوار يقـرب الشقـة ويدفـع التوهـم والغلط .

٤ ـ ولئن كانت اللغـة هي المدخـل الصحيـح لكـل ذلـك، فـإن الـدرس اللغوى قد حظي باهتمام طائفة كبيرة من المستشرقين، وأثمـر عـدداً مـن

المعاجم اللغوية المهمة، وقدم بحوثاً مقارنـة مفيدة فى المستويات اللغويـة المختلفة والآداب المقارنـة .

٥ ـ وقد امتلك بعضهم من الشجاعة الأدبية ما جعلهم يتوفـرون علـى نشر كتب ونصوص جدلية كلامية وفلسفية تنتقد ديانـاتهم ومذاهبهم، بل ويترجمونها إلى بعض لغاتهم، ويشيدون بها فى بعض الأحيان، وبين أيدينا نماذج كثيرة لذلك نذكر منها على سبيل المثال:

نشرة روبير شدياق وترجمته لكتـاب:" الرد الجميل لإلـهية عيسى بصريح الإنجيل " لأبى حامد الغزالـى، وكذلك ترجمة فرنزو ألمز للكتاب ذاتـه .

ـ نشرة يوشع فنكل وترجمته لرسالـة الجاحظ المسماه:" المختار فى الرد على النصارى " .

ـ تحقيق آسين بلاسيوس وترجمته لكتاب الفصل لابن حزم .

ـ تحقيق موشى برلمان وترجمتـه لكتاب السموأل يحيـى المغربـى: " إفحام اليهود "

ـ وترجمـة موشى برلمان وتحقيقـه لكتاب " السيف المحدود فى الـرد على اليهود " للمهتدى عبد الحق الاسلامـى .

ـ وكذلك لكتاب:" تنقيح الأبحاث للملـل الثلاث " .

ـ ومسالك النظـر فـى نبـوة سيد البشـر " للمهتدى سعيد بـن حسن الأسكندرانـى .

ـ نشرة وترجمة سدنـى أدمزوستون .

ـ الرد علـى النصـارى لعلـي بـن ربـي الطـبرى، حقـقه وترجمـه كـوتـس .

- " الدين والدولة فى إثبات نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم" حققه وترجمة منجانا .

- رد ابن تيمية على رسالة بولس الراهب وكذلك كتابه:" الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح " للمستشرقين توماس راف وبول حورى وماتيو .

٦ - جهود المستشرقين فى وضع المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى وتفصيل آيات القرآن التى أسس عليها الأستاذ فؤاد عبد الباقى - رحمه الله معجمه المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، أمر يعرفه العلماء المخلصون ويقدرونه حق قدره، ومعجم سلك البيان فى مناقب القرآن، للمستشرق جون بنريز .

٧ - وهذا الكم الهائل من المعلومات والبيانات الذى جمعه المستشرقون وحشدوه فى "دائرة المعارف الاسلامية " مع تحفظنا على منهجهم فى التحليل والتعليل والاستدلال والاستنباط - يجعل الدارسين عاجزين عن إنجاز بحوثهم دون الرجوع إلى بياناتها ومعلوماتها من جهة، ويجعل المؤسسات العلمية والبحثية فى العالم الاسلامى تشعر بالحرج الشديد إزاء عجزها وفشلها فى إنجاز مثل هذا العمل الضخم.

٨ - ومنها تلك البحوث التى كتبها بعض المستشرقين وتدخل فى دائرة ما يمكن أن يطلق عليه النقد الذاتى للاستشراق مثل ذلك البحث الذى كتبه المستشرق J. Fueck بعنوان The Originality of the Arabian Prophet يرد فيه بقوة على نظريات المستشرقين الذى رأوا أن الرسول محمد قد لفق ديانته من اليهودية والنصرانية. ومثل كتاب Tor Andrae بعنوان Muhammad, the Man and His Faith وكتاب .M

Watt: بعنوان: " The Influence of Islam on Mediaval Europe "

وكتاب Southern بعنوان " Western Views of Islam in the Middle Ages "

وكلها تكشف جوانب الصورة المشوهة السوداء الكالحة التى رسمها التبشير والاستشراق للاسلام والمسلمين فى عقل المواطن الغربى ووجدانه فى العصور الوسطى .

هنالك إذاً جوانب مثمرة إيجابية كثيرة فى الانجار الكبير للمؤسسة الاستشراقية، ليس من همنا فى هذه المقدمة أن نحصيها أو نستقصيها.

لكننا ينبغى أن نذكر هنا أن الروح العامة التى سيطرت على المنهج الاستشراقى فى معظم الحالات، وعلى أكثر المستشرقين، إبان النشأة الحقيقية للاستشراق ـ المتمثلة، فى رأينا، فى إنشاء أقسام علمية وكراسى أستاذية لدراسة اللغة العربية والاسلام فى الجامعات الأوربية الكبرى فى القرن الرابع عشر الميلادى ـ كانت روحاً جدلية عدائية للاسلام؛ أى أن منهج الاستشراق كان يقوم على دراسة الاسلام: لغة، وعقيدة، وشريعة، وقرآناً، وسنة، وحضارة، وتاريخاً، للهجوم عليه،... أى أن المؤسسة الاستشراقية فى هذه الفترة المبكرة كانت تعمل لحساب الكنيسة، وليس لحساب العلم والبحث عن الحقيقة المجردة عن الهوى الخالصة من الغرض .

ويلتقى كثير من الباحثين مستشرقين: ومسلمين على هذه الحقيقة ونشير من بينهم على سبيل المثال إلى:

__ R. W. Southern: Westen Views of Islam in the Middle Ages, Cambridge __ Harvard University Press, 1962 P. 72 .
__ Francis Dovernik, The Ecumenical Councils, New York __ Howthorn Books, 1961, PP> 65 _ 66 .
"Of special interest is the eleventh Canon directing that Chairs of teaching Hebrew, Greek and Arabic and Chaldeen should be created at main universities, The suggestion was Raymond Lull's who advocated learning arabic as the best means for conversion of the arabs ".
JOhn W. Fueck, Montgomry Watt. __ Noraman Daniel, Edward W. __ Said " Orientalism " Vintages Books, New York, 1979 P. 331 .

ويقول ادوارد سعيد: (ص ٤٩ ـ ٥٠):

" Strictly speaking, Orientalism is a field of learned study. in the Christian West, Orientalism is considered to have commenced its formal existence with the decision of the Church Council of Vienne in 1312 to establish series of Chairs in Arabic, Greek, Hebrew, and Syriac at Paris, Oxford, Bologna, Avignon, and Salamanca " .

لقد تأسس الاستشراق رسمياً، وبدأ انطلاقته الحقيقية فى القرن الرابع عشر الميلادى بقرار من الكنيسة ليعمل لحسابها، على أساس أن الاسلام يمثل مشكلة للغرب المسيحى، وكان على هذا الغرب أن يتعامل مع هذه المشكلة (الاسلام) بوسائل فعالة، وقد بين ذلك الدكتور ألبرت حورانى ـ الأستاذ بجامعة أكسفورد ـ فى دراسته الممتازة التى نشرها العام الماضى بعنوان: **" Islam in European Thought "** Cambridge University Press, 1991 , P. 3 .

" From the time it first appeared, the religion of Islam was a Problem for Christian Europe " .

لقد وضع آباء المستشرقين خطط الاستشراق ومناهجه، وحددوا اتجاهاته وتقاليده فى ضوء أهداف ريموند لول ورعيله، وفى ضوء قرار مجمع فينا الكنسى فى بداية القرن الرابع عشر الميلادى .

ثم تطور الحال فى أوربا وتغير، وخرج الناس من سلطان الكنيسة، وتخلص معهم المستشرقون من العمل لحساب الكنيسة؛ لكن معظمهم لم يتخلصوا من التقاليد التى كانوا قد نشروها، والمناهج التى تتلمذوا عليها، والأفكار والآراء والتصورات والمشاعر والأحكام التى تشبعوا بها منذ نشأة الاستشراق .

ويقتضينا الحق أن نقول إن بعضهم قد حاولوا أن يدرسوا الاسلام بموضوعية ولحساب الحقيقة العلمية الخالصة، لكن قليلاً منهم هم الذين استطاعوا الانعتاق من أسر التقاليد الاستشراقية المستقرة والحاكمة منذ زمن بعيد جداً .

ثم تطور الحال مرة أخرى فى أوربا، وجاءت مرحلة السيطرة أو الهيمنة الاستعمارية على الشرق وتكوين الامبراطوريات والمستعمرات فى العالم الاسلامى فى القرن التاسع عشر، وانحاز كثير من المستشرقين إلى مواقف بلدانهم الاستعمارية من الشرق، وسخروا علومهم ودراساتهم وأحكامهم لخدمة الأهداف الاستعمارية لبلادهم، وهنا نشأ تحالف ثالوثى جديد بين الاستشراق والاستعمار والتبشير .

ويقتضينا الحق أن نقول مرة أخرى إن فريقاً من المستشرقين قد وقفوا إلى جانب الحق ولم يسخروا علومهم وبحوثهم لخدمة الاستكبار والاستعلاء الغربى المتمثل فى قهر الشرق الاسلامى واستعماره سياسياً وعسكرياً واقتصادياً وإعلامياً؛ بل إن بعضهم ليشعر بالحرج والخجل من موقف أساتذتهم وزملائهم المؤيد للاستعمار

والاستكبار، والعامل لحسابه المتفانى فى خدمته؛ يقول Stephan Wild : " **والأقبح من ذلك أنه يوجد جماعة يسمون أنفسهم مستشرقين، سخروا معلوماتهم عن الاسلام وتاريخه فى سبيل مكافحة الاسلام والمسلمين، وهذا واقع مؤلم، لا بد أن يعترف به المستشرقون المخلصون لرسالتهم بكل صراحة** " .

ثم انتهت الحرب العالمية الثانية بتحول مركز الثقل وقيادة العالم من أوربا إلى الولايات المتحدة الأمريكية، فيمم الاستشراق وجهه شطر أمريكا، واجتذبت أمريكا كثيراً من المستشرقين الأوربيين إليها، وبذا تكون الحركة الاستشراقية قد دخلت طوراً جديداً ومعاصراً .

وخططت الولايات المتحدة لدورها الاستعمارى الجديد فى فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية ووظفت الاستشراق، ورسمت لذلك ما أسمته بسياسة **العلاقات الثقافية << Cultural Relations Policy >>** .

وقد أفصح Mortimer Graves عن جانب من هذه السياسة الثقافية قائلاً: إن العملية الهائلة لتجميع المطبوعات المتميزة فى لغات الشرق الأدنى المهمة الصادرة منذ ١٩٠٠ وحتى اليوم (١٩٥٠). والنظر فيها وفحصها إجراء ـ كما يعترف Graves ــ يتعلق بالأمن القومى الأمريكى (As a measure of our National Security) وهو من أجل فهم أمريكى أفضل للقوى التى تناوئ أو تنافس الفكرة الأمريكية؛ وأهم هذه القوى المناوئة لأمريكا فى المنطقة ــ كما يذكر M. Graves : قوتان؛ هما الشيوعية والاسلام، وهذه عبارته :

" Was the need for much better American understanding of the forces wich are contending with the American idea for

acceptence by the Near East. **The principal of these are, of course, Communism and Islam "** .
See: Mortimer Graves: A Cultural Relations Policy in the Near East "The Near East and the Great Powers " ed. Frye, PP. 76 , 78 .

ويحدد الدكتور ادوارد سعيد طبيعة الاستشراق فى الوقت الحاضر فى هذه الحقبة الأمريكية بقوله (ص ٢٩٠):

" In any event, the New Orientalist took over attitudes of Cultural Hostility and kept them " .

وهكذا فقد أخذ الاستشراق المعاصر على عاتقه مهمة التحرش الثقافى مع القوى المناوئة للفكرة الأمريكية، وعلى رأس هذه القوى كما حددها (Graves): الشيوعية والاسلام. أما وإن الشيوعية اليوم قد انتحرت أو اندحرت، فإن الاسلام قد بقي وحدة ليمارس معه الاستشراق المعاصر: (**Cultural Hostility**) .

وهكذا فقد تعاظم الاهتمام بدراسة الاسلام فى الجامعات الأمريكية، ولقد هاجر بعض كبار المستشرقين الأوربيين إلى أمريكا؛ ومن بينهم D. B. Macdonald الذى تعلم على يد نولدكه وفيلشر، وهاجر H. A. R. Bibb إلى جامعة هارفارد .

وأخذ الاستشراق فى المرحلة الأمريكية الراهنة ملامح جديدة منها: الاهتمام بدراسة المجتمعات الاسلامية **Area Studies** دراسة ميدانية، ودراسة ما أسموه بالاسلام الشعبى **(Popular Islam)** والتركيز على بحوث التصوف والطرق الصوفية، والاهتمام بتتبع المعتقدات الشعبية فى المجتمعات الاسلامية، ودراسة مشايخ الصوفية

وموالدهم وأضرحتهم، وتبين الأهمية الاجتماعية والسياسية والفكرية لهذه الموالد والأضرحة .

لم يكتف الاستشراق فى المرحلة الأمريكية إذا بدراسة الاسلام ذاته فحسب، بل اهتم ـ وبالغ فى الفحص والبحث والتدقيق ـ بدراسة المجتمعات الاسلامية ذاتها، دينياً وسياسياً واجتماعياً وثقافياً..إلخ .

كما درس العلاقات بين ا لشعوب والمجتمعات الاسلامية؛ والخلافات القائمة والكامنة فيها. ثم اهتم بدراسة مدى صلاحية الشريعة الاسلامية للتطبيق، ومدى تقبل المجتمعات الاسلامية لها وأسباب ذلك، وركز المستشرقون المعاصرون على دراسة ما أسموه بالاسلام السياسى، والحركات السياسية الاسلامية ومناقشة برامجها وطموحاتها، ودرسوا المدن الاسلامية وتاريخها وواقعها.. إلخ .

فالاستشراق المعاصر ـ كما نرى ـ لم يقف مثلما كان فى السابق عند الحدود النظرية فى البحث العلمى، وإنما تجاوز هذه الحدود إلى الدراسة الميدانية للمجتمعات والشعوب الاسلامية من كل النواحى.

(Islam in European Thought , PP. 50 __ 52)

ولقد وظف الاستشراق فى هذه الدراسات المعاصرة تقنيات وأساليب جديدة، فقد استخدم المناهج السوسيولجية والأنثروبولوجية والسيكولوجية والاحصائية والتاريخية؛ ولم يعبأ كثيراً بنشر التراث وتحقيقه وترجمته كما كان يفعل المستشرقون من قبل .

ولأنه ليس من هدف هذه المقدمة التأريخ للاستشراق، فإنى لا أتوقف عند هذه المرحلة الراهنة من سير الاستشراق، لكننى أقول مستنداً على كتابات المستشرقين أنفسهم: إن الإنفكاك من أغلال الكنيسة فى العصر الحديث قد حرر المستشرقين إلى حد كبير من

توظيف الدراسات الاستشراقية جملة وتفصيلاً لأغراضها، ورغم مساندة كثير من كبار المستشرقين الأوربيين الخطط الاستعمارية لحكوماتهم، فإن الدراسات الاستشراقية ــ فى العصر الحديث ــ قد تطورت إلى حد كبير وقد تحسنت صورة الاسلام فى كتاباتهم بشكل ملحوظ، لكن يبقى أن نذكر هنا أن كثيراً من المستشرقين ــ مع ذلك ــ لا يزالون إلى اليوم يحملون أحكام العصور الوسطى فى الغرب وتصوراته عن الاسلام والقرآن والسنة والرسول صلى الله عليه وسلم والشريعة والحضارة والتاريخ الاسلامى. والأمثلة على ذلك كثيرة جداً يصعب حصرها، لذلك فإنى أشير إلى نماذج فحسب، جاء فى كتاب دراسى " Text Book " فى الولايات المتحدة تعريف بالاسلام والرسول والقرآن ورد فيه:

<< The Muslim Religion called Islam, began in the seventh century. It was started by a wealth businessman of Arabia. called Muhammad. He claimed that he was Prophet. He found followers among other Arabs. He told them that they were picked to rule the World. Shortly after Muhammad's death, his teachings were recorded in a book called the Quran. It became the Holy Book of Islam >> .

Cited in Ayad al Qazzaz and Ruth Afiyo,<< The Arabs in American Text books >> California State Board of Education, June 1975 .

أما عن تلك المسألة التى أثارها المستشرقون وأسموها بقضية أصول أو مصادر الاسلام (Origins) وأنها تكمن فى اليهودية والمسيحية والتقاليد العربية وغير ذلك فإنها مسألة بدأها يوحنا الدمشقى فى القرن الثامن الميلادى، ولم يزل المستشرقون يجمعون عليها فى تسليم غريب بصحتها كأنها من البدائة المسلمة، أو من المتواترات

المتيقنة، وقد خاض معظمهم فى البحث عن أصول أو مصادر للقرآن غير الوحى النبوى، ولا أحيل فى هذا إلى كتابات جولدزيهر ولا بلاشير، ولا شاخت، ونولدكه، وهرجورونيه، ومونتجمرى واط، وجب، ومكدونالد، وجرنباوم، وجورج سيل وريتشارد بل، وكل هؤلاء قع تعرضوا لذلك؛ لكنى على الجملة أقول: إن أكثر المستشرقين قديماً وحديثاً وحتى يومنا هذا، يحرصون على إثارة هذه المسألة بصورة مبالغ فى افتعالها لإثارة غبار من الشك فى مصدر القرآن الكريم وأنه وحى معصوم من الله، والقول إن محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد ألفه أو لفقه من الأسفار اليهودية والمسيحية ومن الجاهلية العربية وغير العربية إلخ .

والنظر فى عنوان كتاب C. C. Torrey الذى أعاد نشره Frank Rosenthal فى نيو يورك ١٩٦٧ مع مقدمة ضافية: The Jewish foundation of Islam يؤكد ذلك. ولا يزال المستشرقون مقتنعين بأهمية، بل بضرورة دراسة المصادر التى تسربت أو التى أثرت فى بناء القرآن الكريم؛ يقول المستشرق الفرنسى المعاصر Maxime Rodinson

<< The scholars of the period were interested in investigation of influences. Those works which insisted on Christian influence were counterbalanced by those which emphasized jewish influences, this latter having being studied as early as 1833 by Rabbi Abraham Geiger in a carefully balanced study. The same tendency was subsquently continued by C. C. Torrey and others. Somewhat more broadly. serious studies were devoted to Judeo-Christian sources of Quranic narrative Concepts >>.

ويؤكد مكسيم رودنسون أهمية التحقيق فى أصل الاسلام وأصالته (Originality) قائلاً :

<< Studies of this genre are assurely very necessary. Islam is not born in a sealed container in an environment sterilized against the germs of other ideologies as contemporary Muslims authors and certain others frequently imagine.

نظر بحثه المفصل بعنوان: << A critical Survey of Modern Studies on Muhammad>> ليس ذلك فحسب، ولكن لنقرأ ما كتبه المستشرق اليهودى المعاصر Goitein :

<< Islam, however, is from the very flesh and bone of Judaism >>

" الاسلام من صميم لحم وعظم اليهودية "

[Jews and Arabs, New York, 1955 P. 129].

أما Watt فيرى أن على الاسلام أن يعترف بحقيقة مصدره ومدى تأثير الديانات السابقة من يهودية ونصرانية، والثقافات السورية العراقية والمصرية على بنيانه :

<< Islam would have to admit the fact of its origin. The historical influence of the Judeo-Christian religious traditions and the cultural traditions of Syria, Iraq. and Egypt >>. [Islam and the integration of Society, London 1961 P. 283] .

ولنقرأ أيضاً هذا الفصل الذى كتبه M. Cook عن أصول القرآن فى كتابه واسع الانتشار بعنوان (محمد) ص ٧٧ وما بعده، طبعة جامعة أكسفورد سنة ١٩٨٣م وغير ذلك كثيرا جداً .

والحق أن الباحث المحقق فى كلام المستشرقين حول ما أسموه أصول القرآن ومصادره، لا يجد فرقاً كيفياً بينه وبين كلام المبشرين فى هذا الصدد، فبالاطلاع على كتابات مثل:" ميزان الحق" للدكتور فندر وسنكلير، أو " مقدمة فى الاسلام " للدكتور سال، أو " تنوير الأفهام

بمصادر القرآن " للدكتور سنكلير تسدل أو كتاب " الهداية " إلخ نستبين جلية الأمر. ولنذكر هنا نصاً واحداً من كتاب " تنوير الأفهام بمصادر القرآن " يقول مؤلفه وهو منصر معروف:" ولكن إذا أمكن، بالبحث والتحقيق والتأمل والتدقيق، إقامة الدليل الساطع الذى يكون أوضح من الشمس فى رابعة النهار، أن أكثر القرآن وأغلب عقائده، أخذت بلا شك ولا شبهة من الأديان الأخرى ومن الكتب التى كانت موجودة فى أيام محمد، ولا تزال موجودة الآن، فحينئذ تندك أسس الديانة الاسلامية دكاً وتنهار دعائمها، وتندرس معالمها " .

ص ١١ ت ١٢ والطبعة بدون ذكر تاريخ النشر أو مكانه .

ويحسن أن نختم هذه المقدمة بذكر ما أوجزه الدكتور ألبرت حورانى – الأستاذ بجامعة أوكسفورد وهو ممن لا يُتهمون البتة بالتعصب ضد الاستشراق – من بيان لأهم الانتقادات التى وجهها العلماء الدارسون " Scholars " إلى المستشرقين حصرها فى ثلاث نقاط مهمة، هى:

١ – أن شيوخ الاستشراق فى الغرب اعتزموا أن يكونوا " Essentialists" وأخذوا على عاتقهم شرح كل جوانب الثقافة والمجتمعات الاسلامية من زاوية تنظر إلى الاسلام على أنه ذو طبيعة أحادية جامدة، وأن جموده قد أثر على المجتمعات التى يسيطر عليها .

٢ ـ أن مشيخة الاستشراق فى الغرب قد حركتها فى دراساتها عن الاسلام الدوافع السياسية، فى مرحلة السيطرة الأوربية على العالم، وحتى الآن وفى ظل نموذج آخر من السيطرة الغربية على العالم Western Ascendancy وقد أخذ الاستشراق على عاتقه مهمة تبرير السيطرة الغربية على المجتمعات الاسلامية، وذلك عن طريق

خلق مجمتعات راكدة جامدة تسير القهقرى، عاجزة عن حكم نفسها، ويقول الدكتور ألبرت حوراني: إن الرعب من ثورة الاسلام الذى أزعج العقل الأوربى إبان عصر الاستعمار قد عاد ليزعجه مرة أخرى!!!.

ويعلق الدكتور حوراني على هذا الاتهام الموجه للاستشراق بقوله: << Again, there is some truth in this accusation >>

بل إن المستشرقين الإنجليز والفرنسيين والهولنديين ليتحملون بعض المسئولية عن الطريقة التى مارست بها بلدانهم السلطة (فى المستعمرات، وأن بعضهم قد قبل تقسيم العالم إلى شرق وغرب، وإسلامى ومسيحى، ومتقدم ومتخلف، **وهذه التقسيمات هي التى تؤدى إلى تبرير السيطرة الغربية على العالم. ثم يستطرد الدكترو حورانى قائلاً: ليس كل المستشرقين قد قبلوا هذا التمييز؛ بل إن بعضهم كانوا خصوما لسياسات بلدانهم الاستعمارية مثل Brown الذى كان مؤيداً للثورة الدستورية فى إيران .**

٣) خلق الفكر الغربى وأساتذة الاستشراق مجموعة من الأحكام السائدة نظر إليها على أنها حقائق ثابتة مؤبدة لا تناقش (عن الاسلام). والواقع أن هذه الأحكام تولدت من التأمل العقلى الدرسى الأكاديمى المنبت الصلة تماماً عن الواقع الذى تدرسه وتحكم عليه.

ومن هذه الأفكار المؤبدة نظرة المستشرقين إلى الاسلام والحضارة العربية على أنها مرحلة انتقالية بين الحضارة الكلاسيكية اليونانية الرومانية والحضارة الحديثة فى أوربا، ولقد عبر عن ذلك المستشرق C. H. Becker بقوله:" لولا الأسكندر الأكبر لما كانت هناك حضارة إسلامية " .

<< Without Alexander the Great, no Islamic civilisation >> .

ومثل تركيز المستشرقين واهتمامهم البالغ بمسألة مصادر القرآن (Origins) والحديث كما درسها جيجر، وجولدزيهر، وهنرى لامانس، وتورى وأهرينز، وغيرهم.

" Islam in European Thought " PP. 57 - 60 .

ومع ذلك فلا يفوتنى أن أشيد بتلك الميزة العظيمة التى توفرت للمستشرقين وأعنى بها حرصهم على امتلاك أدوات البحث فى التراث الاسلامى؛ ومن ذلك معرفتهم باللغات التى كتب بها هذا التراث مثل العربية والفارسية، والتركية، وكذلك نظرتهم العامة الرحيبة إلى هذا التراث فى مناطقه المختلفة أو مواطنه المتعددة المترامية مع سهولة فى الحصول على المخطوطات الأصلية، الأمر الذى لم يتح للباحثين العرب إلا فى القليل النادر. وأضرب فى هذا المقام مثالاً واحداً بالمستشرقة المعاصرة " Annimarie Schimmilt " التى تخصصت فى دراسة التصوف الاسلامى، فهي قد أتقنت أهم لغات المسلمين مثل العربية والفارسية والتركية والأردية علاوة على الإنجليزية والألمانية والفرنسية... والحق أن كثيراً من المستشرقين يحرصون على تعلم لغتين من لغات المسلمين على الأقل ليتمكنوا من السير فى بحوثهم، ولا يخفى ما لذلك من قيمة فى حقل الدراسات الاسلامية .

وبعد فمهما يكن من أمر، فإنى قد حرصت ـ فى هذا الكتاب ـ أن أجتهد ما وسعنى الاجتهاد أن أطلع على دراسات المستشرقين أنفسهم، وعلى مراجعة أقوالهم وأحكامهم، وأن أقتبس كثيراً منها، مترجماً إلى اللغة العربية أو فى اللغة الإنجليزية، ليطلع القارئ الكريم

عليها بنفسه ويشاركنى الفهم والاستنباط والحكم، ولم ألتفت إلى الأحكام السابقة المادحة أو القادحة كما أسلفت .

كما ركز هذا البحث على تتبع دراسة المستشرقين لأصول الفكر الإسلامى: القرآن والحديث لما له فى ذاته من أهمية علمية، ولما للاستشراق كله من أهمية إذ أنه يمثل مستوى من مستويات الحوار بين الحضارتين الاسلامية والغربية، كما يمثل وجها من وجوه العلاقة التاريخية بين الاسلام والغرب .

هذا وأرجو أن أكون قد وفقت فى هذا البحث، والحمد لله رب العالمين .

محمد عبد الله الشرقاوى

٢١ / ٨ / ١٩٩٢ م

تمهيد

مهما اختلف الباحثون بشأن الاستشراق والمستشرقين فإنهم غالباً ما يلتقون(١) عند بعض النقاط البالغة الأهمية والتي يمكن إيجازها وإبرازها فيما يلي :

١) كان الاستشراق في نشأته الأولى - في الزمن البعيد - صادرًا عن أغراض ودوافع دينية وتبشيرية كنسية .

٢) كما أن خدمة الاستشراق كانت وراء انطلاقة الاستشراق النشطة في القرن الثامن عشر وما تلاه .

٣) أثر المستشرقون أعمق تأثير وأخطره في صياغة التصورات الغربية عن الاسلام ، ومن ثم كانت لهم اليد الطولى في تشكيل موقف الغرب إزاء الاسلام والمسلمين على مدى قرون عديدة وحتى اليوم .

---

(١) يلتقي على هذا الرأي بعض المستشرقين مثل: دينيه وجرومانوس، وروجيه جارودي ومحمد أسد، ومعظم دارسي الاستشراق من العلماء العرب مثل ادوارد سعيد، ونجيب العقيقي، والدكتور حميد الله، والدكتور فؤاد سزكين، والدكتور محمود حمدي زقزوق، والدكتور مصطفى السباعي، والدكتور عبد الجليل شلبي، والدكتور قاسم السامرائي، والدكتور محمد البهي، والشيخ أبو الحسن الندوي، والدكتور عبد الحليم محمود، ومالك بن نبي، والدكتور عرفان عبد الحميد، والطيباوي، والدكتور حسن حنفي، والدكتور عبد الحميد مدكور، والدكتور اسماعيل راجي الفاروقي، والدكتور جعفر شيخ ادريس، وغير هؤلاء من الدارسين كثيرون.

٤) يثبت الواقع أن للمؤسسة الاستشراقية تأثيراتها العميقة الفاعلة فى الفكر الإسلامى الحديث ؛ فقد أثر المستشرقون إلى أبعد حدود التأثير فى بناء بعض العقول الإسلامية النشطة ، وصياغة رؤيتها الخاصة عن الاسلام ذاته ، مع التمكين لها ، وإذاعة فكرها ونشره على أوسع نطاق .

٥) هناك علاقات تبادل فريد وعجيب بين فهم الاستشراق من ناحية، وفهم العلاقات التاريخية بين الغرب والشرق من ناحية أخرى .

وهذا يوضح لنا خطورة موضوع الاستشراق ، ويؤكد الحاجة إلى دراسات علمية فاحصة متعمقة لمسألة الاستشراق من جميع زواياها، والوقوف على تفصيلاتها الدقيقة، وتشبعاتها المتعينة السافرة، أو المحجبة غير المعلنة .

وليس من شأن مثل هذا البحث الوجيز أن يضع حلولا لمشكلات عويصة، لكن حسبه أن يشير ويقترح، كما أننا لا ندعى لأنفسنا فضلا أو علما، فإن هذا البحث من أوله إلى آخره لا يعدو أن يكون دراسة لأقوال المستشرقين أنفسهم وتمحيصا لاعترافاتهم الكثيرة فى هذا الصدد .

وغنى عن البيان أن نقول إن المستشرقين ORIENTALISTS هم أولئك النفرمن الباحثين الغربيين الذين تخصصوا فى دراسة لغات الشرق بعامه، وآدابه، وعقائده، ونعنى فى بحثنا هذا ـ من بينهم ـ بأولئك النفر الذين تخصصوا فى دراسة اللغة العربية والدين

الاسلامـــي، قرآنـــا، وســنة، وتشــريعا، وحضــارة، وفكــراً، وتصوفـــا، وفلسفة، وفنونا، وآدابـا، وعادات، وتقاليد..(١)

---

(١) انظر: Edward Said, Orientalism, New york, 1979 المقدمة والفصـل الأول، وكذلـك انظـر: نجيـب العقيقـي: المستشـرقون، نشـرة دار المعـارف بمصـر (ثـلاث مجلدات) - المقدمـة.

__ H.A.R. Gibb, Oriental Studies in the U.K., Cambridge, 1951
__ Anwar Abdulmalek: Orientalism in Crisis, 1963 (Diogenes 44)
__ A.L. Taibawi, English-speaking Orientalists: A Critique of their Approach to the Islam and Arabs Nationalism, P 1-2 (Islamic Quarterly)
1964.. الـخ.


بداية الاستشراق

بدايـــة الاستشراق

هنالك اجتهادات متنوعـة لتحديد بدايـة النشاط الاستشراقـى فـى الغـرب، يقـول المستشـرق الألمانـــى المعـاصر رودى بـارت (Rudi Paret) - مترجم القرآن إلــى اللغة الألمانيـــة - "إذا نظر المرء إلـى الوراء، إلى تاريخ تطور الاستشراق.. فانه يستطيع أن يقول: إن بدايـة الدراسات العربية والاسلامية - فى الغرب - ترجع إلـى القرن الثـانى عشر؛ ففى عام ١١٤٣م تمـت ترجمـة القرآن لأول مـرة إلـى اللغـة اللاتينية بتوجيه الراهـب بطرس المحتـرم رئيس دير كلونى وكان ذلـك علــى أرض أسبانـــية .

وعلى الأرض الأسبانية، وفى القرن الثانى عشـر أيضا، نشـأ أول قاموس لاتينـــى عربـــى .. وفى القرن الثالث عشر والرابع عشـر بـذل ريموند لول - المولود فى جزيرة ميورقـه - جهودا كبيرة لتدريس اللغـة العربية، وكان قد تعلم اللغة العربية على يـد عبد عـربـــى"(١)

وهناك آراء ترجع بداية الاستشـراق إلـى القرن العاشـر الميـلادى بدءًا مـن الراهـب الفرنســى جربـردى أوراليك ٩٤٠ - ١٠٠٣م الـذى قصد الأندلـس، وتتلمـذ علـــى أساتذة مـن المسلميــن فـــى أشـبيلية وقرطبـــة، حتـــى أصبـح مـن أكـثر علمـاء عصـره إلمامـــا بالثقافـــة العربية الاسلامية، وقد اعتلــى سدة كرســى البابويــه فى رومـا سنـــة ٩٩٩م،

---

(١) رودى بــارت : الدراســات العربيـــة الاســلامية فــى الجامعــات الألمانيـــة "المستشرقون الألمان من تيودورد نولدكه" ص٩ ، ترجمة د. مصطفى ماهـر، نشـر دار الكاتب العربـى ١٩٦٧م .

وتسمـــى باسم سلفستر الثانــى(١)

كما يرجع بعض الباحثين بداية الاستشراق الـى بداية احتكاك المسلمين بالرومان فى غزوة مؤتـه وغزوة تبوك.(٢)

ورأى فريق أن البداية الحقيقية للاستشـراق كـانت مـع الحـروب الصليبية حيث بدأ الاحتكاك السياســى والدينى بين الاسـلام والصليبية الغربية الغازيـة، واستحكم العداء بين المسلمين والغـرب الصليبـى أيـام نور الدين زنكـى وصلاح الدين الأيوبـــى والملك العـادل إثـر الهزائـم المتكررة التى ألحقها هؤلاء القـادة العظـام بـالصليبيين، وكـل هـذا دفـع الغرب إلــى الانتقام بكل الوسائـل(٣)

ومما يؤكــد هذا، ذلك الخبر الـذى أورده ابـن الأثـير المـؤرخ المعروف فى كتابه (الكامل) ومفاده : أن بطريرك بيت المقدس خرج مع كثير من مشهورى الصليبيـن وفرسـانهم، حيـن فتـح صـلاح الديـن بيت المقدس، ولبسوا السواد، وأظهروا الحزن على ذهاب بيت المقدس من بين أيديهـم، ودخلـوا بـلاد الافرنـج يطوفونهـا، ويسـتنجدون أهلهـا، ويستجيـرون بهـم، ويحثونهم على الأخذ بالثأر، بأرض بيت المقدس...،

---

(١) نجيب العقيقـى: المستشـرقون ح١ ص ١١٠ طبعة ٤ ، دار المعـارف ، وكذلـك الدكتور مصطفـى السباعـــى: الاستشـراق والمستشـرقون مـا لهـم ومـاعليهم، ص ١٤، نشر المكتب الاسلامـى .

(٢) محمد حسين هيكل: حياة محمـد،ص ٩، طبعة القـاهـرة .

(٣) انظـر قاسم السامرائــى: الاستشـراق بيـــن الموضوعيــة والافتعاليــة، ص ٢٠ دارالرفاعــى بالرياض ١٩٨٣م .

وصوروا المسيح، وجعلوا صورة رجل عربي أمامه، والعربي يضرب المسيح، وقد جعلوا الدماء تسيل على صورة المسيح، وقالوا لهم هذا المسيح يضربه محمد نبى المسلمين، وقد جرحه وقتله.(١)

كما أن المؤرخ بهاء الدين بن شداد (وهو معاصر للأحداث وقريب منها) يروى أنهم صوروا قبر المسيح (عليه السلام)، وصوروا على القبر فارسا مسلما وقد وطئ على قبر المسيح عليه السلام وبال الفارس على القبر، وأنهم أبدوا هذه الصورة وراء البحر - فى بلادهم -؛ فى الأسواق والمجامع، يحملها القسوس ورؤوسهم مكشوفة، وعليهم المسوح، وينادون بالويل والثبور.(٢)

ويؤكد جاردنر Gardner أن دوافع هذه الحروب الصليبية(التى تمخضت عنها الحركة الاستشراقية) كانت سياسية توسعية وإن تسربلت بالمسوح الدينية، فيقول: لقد خاب الصليبيون فى انتزاع القدس من أيدى المسلمين بالسيف ليقيموا دولة مسيحية فى قلب العالم الاسلامى. والحروب الصليبية لم تكن لإنقاذ هذه المدينة بقدر ما كانت لتدمير الاسلام.(٣)

أما ليفونيان Levonian فيرى - بحق - أن الحروب الصليبية كانت أعظم مأساة نزلت بالصلات بين المسلمين والنصارى فى الشرق .

---

(١) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ ج ٩ ص ٢٠١، القاهرة ١٣٤٣هـ .

(٢) ابن شداد: النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ص١٢١،القاهرة١٣١٧هـ .

(٣) Gardner, W.T., The Reproach of Islam, Vol 2, P. 221. London, 1909.
عن (الاستعمار والتبشير) الدكتور عمر فروخ والدكتور مصطفى الخالدى، ١١٥، ط٢ ، المكتبة العصرية، بيروت .

لقـــد فشل الصليبيون فـى اقامـة مملكـة فـى هذا العـالم (الاسـلامى) فزرعوا العداوة والبغضاء (١) .

ويقرر رشتر Richter أن دول أوربـا خابت فى الحروب الصليبيـة الأولــى عـن طريق السيف، فـأرادت أن تشن علـى المسلمين حـرباً صليبيـة جديـدة عـن طريـق التبشـير، فاسـتخدمت لذلـك الكنـائس والمدارس، والمستشفيات، وفرقت المبشرين فى العالم. (٢)

وهناك قسم آخر يرد نشأة الاستشراق إلـى الحروب الدمويـة التى نشبت بين المسلمين فى الأندلس ونصاراها، خاصـة بعـد اسـتيلاء (الفونسو السادس) على طليطلة سنة ٤٨٨هـ ـ ١٠٨٥م فنشـأت حركـة التوبة والتكفير عن الذنوب، وكان مركزها فى دير كلونى Cluny الـذى سيطر عليه طائفة الرهبان البند كتيين برئاسة الراهب بطرس المحترم الفرنسى، ومن هذا الدير انطلقت حركة تغيير النصرانية الأسبانية بكل كتبها وطقوسها، وجعلها نصرانيـة كاثوليكيـة روميـة صرف؛ ذلـك لأن هــؤلاء الرهبـان رأوا أن النصرانيـة الأسـبانية قـد أصابهــا الفســاد لاكتسابها الكثير من الاسلام، لذا بدأوا حربهم الصليبيـة ضد نصرانيـة أسبانيا وإسلامها علــى السواء (٣) .

---

(١) Levonian, L: Islam and Christianity, London, 1940 P. 124

(٢) Richter J. : A history of Protestant Missions in the Near East P. 14,N . y. 1910 عن المرجع السابق ص ١١٥)

(٣) د. قاسم السامرائى، مرجع سابق، ص٢١، وانظر: Mackay, A. :Spain in==

وقد نشط هذا الدير فى حشد القوى الغربية للاستيلاء على أسبانيا من أيدى المسلمين بكل الوسائل، وكان أول أسقف على طليطلة بعد استيلاء النصارى عليها من رهبان هذا الدير ...(دير كلونى) ومن هذا الدير انطلقت حركة اصلاح عمت النصرانية الأوربية، وجعل منه الرهبان ـ بعد أن أووا إليه فى القرن الثانى عشر ـ مركزا خطيراً لدراسة الثقافة العربية، وقصد رئيس الدير نفسه (بطرس المحترم) الأندلس فيمن قصدها مستزيدا من علومها، ولما رجع إلى ديره طفق يصنف الكتب فى الرد على علماء الجدل المسلمين.(١)

ومعروف أن هذا المحترم بطرس فد كلف اليهودى المتنصر بطرس أوبيدرو (ألفونسى أو العبرى، أو الطليطلى) أن يترجم القرآن الكريم الى اللغة اللاتينية، وبالرغم من أن هذه الترجمة قد عزاها البعض الى (هرمان الأرمانى و روبرت أوف جستر) الراهبين اللذين قيل فيهما إن بطرس المحترم قد صرفهما عن دراسة الفلك فى الأندلس

---

the Middle Ages, PP. 22 __ 23, London ---

وللتعرف على بعض ما فعله هؤلاء انظر "الوثيقة الأندلسية" عن اضطهاد النصارى للمسلمين الأندلسيين، وتعليق المستشرق مونرو عليها، وترجمتنا لها ، نشر دار الهداية بالقاهرة ١٩٨٦م.

(١) نجيب العقيقى، ج ١ ص١٢٢ ـ ١٢٣، وانظر (رسالة راهب فرنسا الى المقتدر بالله أمير سرقسطه وجواب القاضى الباجى عليها) وهذا الراهب هو رئيس دير كلونى، والرسالة بتحقيقنا، ونشر دار الصحوة بالقاهرة ١٩٨٦م وانظر مجلة (Andalous) العدد (١٩٥٢،   ) (١٩٦٣،   )

James Kritzeck _ Peter The Venerable and Islam, Princeton,1964.

إلـى ترجمة القرآن الكريم إلى اللاتينيـة، فـإن المـترجم الحقيقـى نفسـه يقول فـى مقدمـة هذه الترجمـة ما نصه: "أنـا بطرس الطليطلى الـذى ترجمت هذا الكتاب من اللسان العربـى إلـى اللاتينـى، وذكـر أيضـا أن راهبا من دير كلونـــى كان قد أرسله بطرس المحترم قد أصلـح لغتـى اللاتينيـــة لأننـى لا أجيدهـــا مثـل إجادتـــى اللغـة العربيـــة. وبطـرس الطليطلى هذا من عائلـة يهوديـــة نزحـت مـن قرطبـة حيـن استولـــى الموحـدون عليهـا الـــى طليطلـه ....، وقـد نسـبت هـذه الترجمـة إلـــى بطرس المحترم رئيس دير كلونـــى لأنـــه هـو الـذى أمـر بهـا (حتـــى يستطيع دحض القرآن)(١)

ورأى قسم آخر أن نشوء الاستشراق كان لحاجة الغرب لـلرد علـى الاسـلام أولا، ثـم لمعرفـة أسـباب هـذه القـوة الدافعـــة لأبنائـه ثانيـا، وخاصـــة بعد سقوط القسـطنطينية سـنة ١٤٥٣م، ومـن ثـم وصـول العثمانيين الـى أسوار فيينا، إذ وقف الاسـلام سـدا مانعـا مـن انتشـار النصرانيـــة.(٢)

وأرى من جانبى أن الاستشراق قد بدأ بداية حقيقية منتظمـة بقـرار المجمع الكنســى فى فينـــا بالموافقة علـــى تدريس اللغات الشـرقية فـــى خمس مـن جامعـات أوربـــا الكبـرى، هـي: بـاريس، وأكسـفورد، والجامعــة البابويـــة، وبولونيـــا، وسلمنكـــا سـنة ١٣١٢م. ثـــم توسعـت أوربـــا فـى

---

(١) مرجع سابـق ص٢٣ .

(٢) د. قاسم السامرائى، مرجع سابق ص٢٢/٢٣، وانظر كذلك : Terror_ Roper_

Hugh, The Rice of Christian Europe, PP 92 _ 93,England,1973.

فتح أقسام جديدة وانشاء كراسى أستاذيـــة فى عدد من جامعـــات الغرب؛ ففى سنة ١٥٨٧م بدأ تدريس اللغة العربيـــة بصورة منتظمـة فى College de France فـى باريس، وفـى سنة ١٦١٣م فـى جامعة ليدن فى هولندا، وفى كمبـردج سنة ١٦٣٢م، وأنشئ كرسـى أستاذيـــة للعربيـــة والدراسات الاسلاميـــة فـــى أكسفورد سنة ١٦٣٤م، ويـرى الدكتور ألبرت حورانـــــى أنـه منذ ذلك الوقت بدأت دراسات مهمـــة ومكثفة للمصادر العربية، وقد برزت معها صورة محمد (صلـى اللـه عليه وسلم) أكثر وضوحاً.(١)

وقد أنجز George Sale أول وأهم ترجمة للقرآن الكريم فـى القرن السابع عشر وكتب لها مقدمته الذائعة التى اعتمد عليها Lodvoico Marracci فى ترجمته اللاتينية للقرآن الكريـــم .

ثـــم نشر Simone Okely كتابه عن تاريخ المسلمين <<History of Saracens>> فى نفس القرن، وهكذا فقد نشطت الدراسات العربيـة والاسلامية فـى أوربا، وأصبح لها مراكـز وتقـاليد علميـة وأسـاتذة ودارسون مهتمون متخصصون.

وأما ما ذهب اليه الدكتور جورج مقدســـــى بأن القرن التاسـع عشر هو الذى شهد ميلاد الدراسات الاسلامية فى الغرب(٢) فإنه يحمـل علـى أن هـذا القـرن قـد شهـــد نهضـــة كبيرة فـــى الدراســـات الاستشراقيـــة، وقد ساعدت الحكومـات الأوربيـــة الاستشراق طمعـًا فى

---

(١) A . Hourani , Islam in European Thought , PP. 12_13

(٢) " Studies on Islam " PP. 217-22 ,George Makdisi : Hanbalite Islam Tranlated and edited by Merlin L. S. New York Oxford, 1981.

الحصول علـــى خدمـــة الأخيـــر لأغراضها الاستعماريـــة، وفـــى هذا القرن تأسست الجمعيات الاستشراقية الكبرى مثل:

__ Asiatic Society of Bengal 1786
__ Royal Asiatic Society in London 1823
__ Societe Asiatique in Paris 1822
__ Deutshe Morgenlandische Gesellschaft in 1845

وكل جمعية من هذه الجمعيات أصدرت لها مجلـــة استشراقيـــة لنشر بحوث المستشرقين ودراساتهم.

كما أن سلسلة المؤتمرات الاستشراقية قد بدأت سنة ١٨٧٣م، وقد كانت هنالك اتصالات واسعة بين المستشرقين وشبكة من المراسلين فى شتى أنحاء العالم؛ وكان جولدزيهر يوصى المستشرقين قائلا:
<<Always answer letters and attend the Congress of Orientalists>>(١)

وعلـــى كل حال فإن القول بأن الاستشراق قد ولد ـ ابتداءً ـ فى أحضان الكنيسة والأديار النصرانية الرومانيـــة يبقـــى صحيحـــا على اطلاقـــه، وكل الاجتهادات المطروحـــة تؤكـد هـذه الحقيقـة و توثقهـا وتعمقهـا، وعلـــى كل حـال يمكن التعرف علـى كثير من التفصيـلات المفيدة فى كتاب المستشرق Normon Daniel بعنوان Islam and The West (طبع فى لندن ١٩٦٣) ، وكذلـك كتـاب المستشرق Southern بعنوان Islam and The West (طبع فى لندن ١٩٦٣) ، وكذلك كتاب المستشرق Southern بعنوان : Western Views of Islam in the Middle Ages طبع فى جامعة هارفارد١٩٦٢م) .

---

(1) A. Hourani , Ibid .

هدف الاستشراق إبان نشأته الأولى

هدف الاستشراق إبان نشأتـه الأولـى

يحدد المستشرق الألمانـى المعاصر Rudi Paret هدف الاستشراق فـى وضوح وصراحـة وجرأة، فيقول : " كان الهدف من هذه الجهود - الاستشراقية - فى ذلك العصر، وفـى القرون التاليـة هو التبشير، وهو اقناع المسلمين بلغتهم ببطلان الاسلام، واجتذابهم الـى الدين المسيحـى(١) ويقول بارت كذلك:

"كان موقف الغرب النصرانـى - فى العصـور الوسطـى - مـن الاسلام، هو موقف الدفع والمشاحنـة فحسـب. حقيقـة إن العلمـاء ورجال اللاهوت - فـى العصر الوسيط - كانوا يتصلون بالمصادر الأولـى (الأصلية) فـى تعرفهـم علـى الاسلام، وكانوا يتصلون بها علـى نطاق كبيـر، ولكن كل محاولة لتقييم الاسلام - علـى نحو موضوعـى - كانت تصطدم بحكم سابق يتمثل فـى أن هذا الديـن المعادى للمسيحيـة لا يمكن أن يكون فيه خير. وهكذا كان النـاس لا يولون تصديقهم الا تلك المعلومات التى تتفق مع هذا الرأى المقرر من قبل، وكانوا يتلقون منهم كل الأخبار التـى تلوح لهم مسيئة إلـى النبـى العربـى وإلـى الاسلام(٢). كان الاسلام كمـا يقول (Southern) يمثل مشكلة بعيدة المدى بالنسبة للعالم النصرانـى فـى أوربا على كافة المستويات ؛ فباعتباره مشكلة عملية استدعـى الأمر اتخاذ اجراءات معينة بالصليبيـة والدعـوة الـى

---

(١) رودى بارت، مرجع سابق، ص٩ .

(٢) المرجع السابق ص ١٠ ، وانظر ص ١٥ .

النصرانية، وباعتباره مشكلة لاهوتيــة تطلب ـ بإلحاح ـ العديد من الإجابات عـلى العديد من الأسئلة فـى هذا الصدد ؛ وذلك يقتضى معرفــة الحقائق التـى لم يكن من السهل معرفتها، وهنا ظهرت مشكلة تاريخية صار من المتعذر حلها، كما نـدر امكانية تناولها دون معرفة أدبية ولغويــة يصعب اكتسابها، وصارت المشكلة أكثر تعقيداً بسبب السرية والتعصب والرغبة القويــة فى عدم معرفتها خشية الدنس(١).

وقد صور مكسيم رودنسون ـ بألفاظ مشابهة ـ مقدار الهلـع والخوف الذى اجتاح رجال الكنيسة فى الغرب من الاسلام، فقال: "كان المسلمون خطرا على الغرب قبل أن يصبحوا مشكلة ، كما كانوا فى نفس الوقت عامل اهتزاز شديد فى بنيان الوحدة الروحيــة للغرب، وأنموذجا حضاريـا يجتـاز بتفوقــه، وبحركتــه الابداعيــة المتسارعـة، وقدرتـه الهائلـة علـى الانفتاح والاستيعاب. إذ أنـه ـ وفـى مواجهة تقدم هذا الأنموذج عبر مثقفو الغرب عن شعور عام بالإندهاش أمام الاسلام، وبدا ذلك لهم وكأنه خطر على المسيحيــة(٢). امتلأ الغربيـون بالاحساس بالنقص إزاء الدين الاسلامــى وحضارتـه المتفوقــة المزدهرة، ودفعهم شعورهم المتزايد بالخوف والمرارة ـ بعد فشلهم المريــع فــى حروبهم الصليبيــة ـ الــى البحث عــن

---

(١) Southern R.W. Western Views of Islam in the Middle Ages, Cambridge,1962 PP 7 _ 14

(٢) مكسيم رودنسون: عن د. مدكور فــى دراسات فى الفكـر الاسلامــى نشر فى مكتبة الزهراء .

خطط بديلة تحقق أهداف الحروب الصليبية دون مواجهة عسكرية بحيث تؤدى إلى تشويه الاسلام فى أعين الغربيين وصرفهم عنه، كما تعمل ـ فى صمت وهدوء ـ على تحقيق نصر على هذا الاسلام(١) .

ولقد أسهمت كتابات يوحنا الدمشقى (٦٧٥ ـ ٧٤٩م) الذى يعد اللاهوتى المسيحى الأول الذى يسجل عن الاسلام أنه (هرقطة) أى بدعة مسيحية، وأن الاسلام ديانة زائفة، وأن (الله) ليس هو الرب أوالسيد كما يعتقد فيه النصارى، وأن الاسلام قد اخترعه محمد (صلى الله عليه وسلم) بدوافع الطموح الشخصى، وأنه قد نشره بحد السيف(٢) أسهم ذلك التشخيص المبكر فى تشكيل صورة محمد صلى الله عليه وسلم فى الغرب، وزادوا عليها أنه لم تبشر به الكتب السابقة ، ولم تجر المعجزات على يديه، ولم يوح اليه بالأسرار، وأن أي إنسان يمكن أن يصنع ما صنعه محمد الذى سلك طريق النجاح الشخصى بينما عاش عيسى الرب من أجل الإنسانية(٢) .

ولقد سيطرت هذه الصورة الغربية عن الاسلام على المستشرقين بحيث أصبحت هي القاعدة العامة، وأمسى الخروج عليها أمرا إستثنائيا.

---

(١) ادوارد سعيد(عن مكسيم رودنسون) .

(٢) D.J. Shahas,Johon of Damascus on Islam, Lieden, 1972 PP. 132-41

(٣) Islam in European Thought , P. 12

يقول الدكتور ألبرت حورانـــى: مع بداية القرن التاسع عشر، اتخذ الأوربيون الدارسون للاسلام طريقين، همـا: أن الاسلام عدو منافس للمسيحيـة؛ والآخر أن الاسلام ليس أكثر من واحد من التصورات البشريـة لطبيعة الإلــه،والعالـم. وفــى هذا القرن (التاسع عشر) ظهر فى ـ بريطانيـا ـ حافز جديد لفكرة المخاصمة بين الاســلام والمسيحيــة؛ يتمثل فـى الروح الدينيـة الإنجليكانية بين الانجليز. وقد أصبحت هذه الخصومـة آنئذٍ ممكنة علــى نطاق واسع بسبب نمـو وازديـاد الأنشطـــة التبشيريـــة المنظمـــة، وبســبب توســع الأمبراطوريـة فــى الهند خصوصا، ممـا منحها الفرصـة السانحـة والمسئوليـة معـا.

وعلـى العموم فإن فكرة المبشرين المتشبعين بـالروح الانجيلية كـانت مناهضة للاسلام ، قائمـة بواجـب تنصـير المسلمين. ويشـير حورانـــى الـــى بعض الأمثلـــة علـــى ذلك منها: تومـاس فالبـــى الفرنساوى المتوفـى ١٨٩١م الذى كان مديرا لكليـة القديس يوحنـا فـــى عليكـــرة، ثـم أسقفـا فـــى لاهـور، كـان يعتقـد أن الاســلام والمسيحيـــة مختلفان اختلاف السماء والأرض، ثم استقال مـن منصبه الكبير ليضطلع بواجبـــه نحـــو التبشـير بـالانجيل فـــى الجزيـــرة العربيـــة ذاتها، وقد مات فــى مسقط.وتلك المناظرة التـى جرت بين هنرى مارتـــن المبشـــر المشهور المتوفـــى ١٨١٢م وبيـن علمـاء الشيعـة فـى شيراز سنـــة ١٨٨١م. وأهم نمـوذج لذلـك تلـك المنـاظرة العلنية التـى وقعت بين كارل فنـدر والشيخ رحمـة الله الهنـدى سـنة ١٨٤٥م.

ويذكر الدكتور ألبرت حورانـــى أن كارل فندر كان معضدا من قبل كبار موظفـــى شركـة الهند الشرقيـة الانجليز ممـا جعلـه يسـلك سياسـة نشطـة فـى التبشيـر والتـأليف والنشر، وقد تحدى الشيخ رحمـة الله للدخول فـى مناظرة علنيـة، ولم تستمر المناقشـة بسبب انسحاب كارل فندر منها ويبدو من التقارير أن الشيخ رحمـة اللـه قد ربـح المنـاظرة. كمـا وأنـه قـد وضـع أمـر الثقـة فـى الانـاجيل علـى المحك .

ولـم يكـن المبشـرون وحدهـم الذيـن يحملـون الـروح الانجيليـة وانما كان كثير من رجال الدولـة الانجليز فـى الهنـد متـأثرين بهذه الروح؛ ومنهم مثـلاً: William Maur الـذى كـان حـاضرا فـى منـاظرة الشـيخ رحمـة اللـه وفـاندر، ثـم كتـب بعـد ذلـك كتابـه " The Muhammadan Controversy الذى أظهر فيه عداءًا شديدًا للاسلام والمسلمين؛ وقد أصبح هذا الرجل فيما بعد مديرا لجامعة أدنبرة، وكتب كتابا بعنوان "Life of Muhammad"وذكر فيه أن الاسلام فيه حق كثـير بيد أنه مأخوذ من الأديان السابقة الموحـى بهـا.(١)

وكان من أهم الخطوات التى اتخذها رجال الكنيسـة فـى أوربـا لمواجهة مشاعر الاندهاش والخـوف من الاعجاب بالاسلام، أن تعمل علـى تشويه صورة الاسلام، وهـذا ما يشير اليه مكسيـم رودنســون حيث يقـول: ان هـذه المشـاعر نحـو الاسـلام قـد أدت الـى نتيجتيـن هامتين: أولاها: السعى نحو وحدة أيديولوجية أوربيـة متكاملـة فـى مواجهـة فكـر الاسلام وحضارتـه. وأخراها: أن الكنيسة الأوربيـة

Islam in European Thought,PP. 18 ,19

قد عملت من أجل تثبيت الايمان المسيحى - على تشويه المنتجات الحضارية للاسلام، وما يصل منها إلى مسامع الغربيين(١)

وقد نشط اللاهوتيون النصارى - فى ذلك الوقت المبكر - ضد الاسلام وراحوا ينشرون الافتراءات والأكاذيب حول الاسلام ونبيه صلى الله عليه وسلم، وزعموا أن الاسلام قوة خبيثة شريرة، وأن محمداً صلى الله عليه وسلم ليس الا صنماً أو إله قبيله أو شيطانا، وغزت الأساطير الشعبية والخرافات خيال الكتاب اللاتين. وهناك فى هذا الصدد حكايات فى وصف الاسلام مغرقة - كما يصفها الدكتور محمود حمدى زقزوق - فى الخيال والضلال، اخترعها خيال جاحد مريض مثل أنشودة رولاند وغيرها من آثار تصف المسلمين بأنهم عباد أصنام، أو أنهم يعبدون ثلاثة آلهة هي: ترفاجان ومحمد وأبو للو.

ويطلق - Southern - على هذا العصر (عصر الجهالة) ويذكرأن الشيء الوحيد الذى يجب أن لا نتوقع وجوده فى تلك العصور هو الروح المتحررة الأكاديمية، أو البحث الانسانى الذى تميزيه الكثير من البحوث التى تناولت الاسلام فى المائة سنة الأخيرة (٢) كان الهدف إذاً من دراسة الاسلام محدداً وواضحا وهو: محاربة هذه التعاليم (الالحادية) !!!. ودحضها على حد قول بطرس المحترم رئيس رهبان دير كلونى (٣)

---

(١) م. رودنسون عن د. مدكور " دراسات فى الفكر الاسلامى ص ٨١ (٢) ساوذرن: مرجع سابق ص ١٥، ١٧، ٤٨، ٤٩ .

(٣) المرجع السابق ص٥٦ .

وقد كان من أبرز الدعاة المتحمسين الذين طالبوا بضرورة تعلم لغة المسلمين لغرض تنصيرهم (روجر بيكون) ١٢١٤ ـ ١٢٩٤ (جد فرنسيس بيكون رائد الفلسفة المادية التجريبية فى الغرب)، وقد كان يرى أن التنصير هو الطريقة الوحيدة التى يمكن بها توسيع العالم المسيحى (على حساب العالم الاسلامى) ولبلوغ هذا الغرض، لابد من توفر شروط ثلاثة هي:

(١) معرفة اللغات الاسلامية.

(٢) دراسة أنواع الكفر وتمييز بعضها عن بعض(يعنى دراسة الأديان)

(٣) دراسة الحجج المضادة حتى يمكن دحضها. (١)

وقد شارك بيكون فى طموحاته (ريموند لول Raymond Lull (١٢٣٥ ـ ١٣١٦) الذى كانت له جهود له جهود كبيرة أثمرت إنشاء كراسى لتدريس اللغة العربية فى أماكن متعددة فى أوربا، وكان الهدف من كل هذه الجهود فى ذلك العصر، وفى العصور التالية: هو التنصير.(٢)

وقد أقر مجمع فينا الكنسى سنة ١٣١٢م أفكار بيكون ولول بشأن تعليم وتعلم اللغات الاسلامية، وتمت الموافقة على تعليم االلغة العربية فى خمس جامعات أوربية كبرى هي: باريس، وأكسفورد، وبولونيا ،

---

(١) المرجع السابق ص٧٦، وانظر يوسف كرم، الفلسفة الأوربية فى العصر الوسيط، ومقدمة هذه الرسالة .

(٢) د. زقزوق مرجع سابق ص ٢٨ .

وسلمنكا، بالإضافة إلى جامعة المدينة البابوية ... هذا وقدر لريموند لول أن يعيش حتى ينعم برؤية حلمه يتحقق... وكان لول يعتقد بأن الوقت بذلك قد حان لإخضاع المسلمين عن طريق التنصير، وبذلك تزول العقبة الكبرى التي تحول دون تحويل الإنسانية كلها إلى العقيدة الكاثوليكية(١) .

ومن العجيب أن المستشرقة الأمريكية المعاصرة Margaret Marcus ترى بصراحة أن هذه الأقسام وغيرها لا تزال تقوم بهذه الوظائف فى الوقت الحاضرتقول مارجريت ماركوس: "ان المستشرقين العلماء، والسياسيين الغربيين الدهاة واعون جيداً لهذه الحقائق؛ كذلك فإن الأقسام الخاصة فى الجامعات والمراكز العلمية المنتشرة فى أوربا وأمريكا والمتخصصة فى دراسة الاسلام وفهمه، إنما تقوم بذلك من أجل تحقيق غاية واحدة هي: التمكن من العدو لتدميره، وتلك المعاهد الاسلامية ومراكز البحث الاسلامية مشغولة اليوم بتكوين أتباع للغرب فى قطر اسلامى تلو الآخر، وهدفهم من وراء ذلك اجهاض القضية الاسلامية من داخلها، واحباط أى محاولة لبعث حقيقى إسلامى" .

"The learned Orientalists and shrewd politicians of the West are thoroughly aware of these facts.Hence, the special departments in universities and seminaries scattered throughout Europe and America dedicated to understand Islam only to enable its enemies to destroy it. These "Islamic Institutes" and "Islamic Research Centres" are now busy

---

(١)المستشرق الألمانى يوهان فك: (الدراسات العربية فى أوربا) عن: الاستشراق ص٢٨

establishing their satellites in one country after another, the purpose of which is to subvert the Islamic cause from within and frustrate any attempts for a genuine Islamic renaissance."(1)

لاريب إذاً أن الدافع الأول لنشأة الاستشراق في الغرب هو الدافع الديني، فقد بدأ بالرهبان كما رأينا، واستمر كذلك .. وهؤلاء كان أكبر همهم الطعن في الاسلام، وتشويه محاسنه، وتحريف حقائقه، ليثبتوا للجماهير الخاضعة لزعامتهم أن الاسلام دين لا يستحق الانتشار، وأن المسلمين قوم همج لصوص سفاكو دماء، يحثهم دينهم على الملذات الجسدية، ويبعدهم عن كل سمو روحي وخلقي.

ثم اشتدت حاجتهم إلى هذا الهجوم في العصر الحاضر، بعد أن رأوا الحضارة الحديثة وقد زعزعت أسس العقيدة المسيحية عند الغربيين، وأخذت تشككهم في كل التعاليم التي كانوا يتلقونها عن رجال الدين عندهم فيما مضى، فلم يجدوا خيراً من تشديد الهجوم على الاسلام لصرف أنظار الغربيين عن نقد ما عندهم من عقيدة وكتب مقدسة، وهم يعلمون ما تركته الفتوحات الاسلامية الأولى، ثم الحروب الصليبية، ثم الفتوحات العثمانية في أوربا بعد ذلك في نفوس الغربيين من خوف من قوة الاسلام، وكره أهله، فاستغلوا هذا الجو النفسي وازدادوا نشاطاً.(٢)

---

(١) Islam and Orientalism, PP. 16_ 17, 1981,Anarkali

٢) د. مصطفى السباعي: الاستشراق والمستشرقون: مالهم وما عليهم، ص١٦ ط٢ ـ المكتب الاسلامي

كان هدف الاستشراق إذاً ـ كما يصرح المستشرقون أنفسهم ـ هو العمل من أجل انكار المقومات الثقافية والروحية للأمة الاسلامية، والتنديد والاستخفاف بها(١) وأن ما يشعر ويفكر به الغربيون نحو الاسلام ـ اليوم ـ متأصل فى انفعالات وتأثيرات ترجع الى خبرات سابقة عميقة الجذور فى الفكر الأوربى، ... ويذكر الدكتور عرفان عبد الحميد: أن من سخرية التاريخ أن يظل هذا الحقد القديم ضد الاسلام قائما بطريقة لاشعورية فى زمن خسر فيه الدين القسم الأكبر من تأثيره فى مخيلة الأوربى(٢) ويقر المستشرقون بهذه الحقيقة؛ وهي تعصب المستشرقين من رجال الدين الغربى ضد الاسلام، وتحاملهم عليه، وتسميم عقول الغربيين ووجدانهم ضده(٣) كما يقررون أن هناك محاولات من بعض المستشرقين لتجاوز هذا التحيز الجاهل والتعصب البغيض ضد الاسلام، لكن هذه المحاولات فى معظمها تتعثر بموروثاتها الثقيلة التى تكبلها منذ ما يربو عن الألف عام.

يذكر (Norman Danial) أنه رغم المحاولات الجدية المخلصة التى بذلها بعض الباحثين فى العصور الحديثة للتحرر من المواقف

---

(١) د. محمد البهى: المبشرون والمستشرقون فى موقفهم من الاسلام؛ ص٣٩ طبع وهبة .

(٢) د. عرفان عبد الحميد ، المستشرقون والاسلام ص٤ ط٢، المكتب الاسلامى بدمشق .

(٣)انظر حديث (مونتجمرى واط) المفصل فى نهاية هذا الفصل .

التقليدية للكتاب المسيحيين من الاسلام، فإنهم لم يتمكنوا من أن يتجردوا كليا عنها كما قد يتوهمون(١) ٠

ويؤكد ذلك المستشرق المعاصر مونتجمرى واط M.Watt، إذ يقول:"منذ القرن الثانى عشر جد الباحثون الغربيون من أجل تقويم الصورة المشوهة التى تولدت فى أوربا للاسلام. ولكن رغم الجهد العملى المبذول فإن آثار الموقف المجافى للحقيقة والتى ولدتها كتابات القرون الوسطى فى أوربا لا زالت قائمة فالبحوث والدراسات الموضوعية لم تقدر بعد على اجتثاثها كلياً."(٢)

ويستطرد (Watt) قائلا: "لقد قامت فى صفوف المستشرقين فى السنوات الأخيرة محاولة إيجابية تحاول النفاذ بصدق وإخلاص إلى أعماق الفكر الدينى للمسلمين؛ بدل السطحية الفاضحة التى صبغت دراساتهم السابقة، ولكن ـ ورغم ذلك ـ فإن التأثر بالأحكام التى صدرت مسبقاً على الاسلام، والتى اتخذت صورة (كلشيهات تقليدية) فى الغرب لا زال قويا فى بحوثهم، ولا يمكن الاغفال عنها فى أية دراسة لهم عن الاسلام.(٣)

أما المستشرق (برنارد لويس) فإنه يعبر عن ذلك فى سخرية مريرة قائلاً: "لاتزال آثار التعصب الدينى الغربى ظاهرة فى مؤلفات عدد من العلماء المعاصرين، ومستترة فى الغالب وراء الحواشى

---

(١) Norman Daniel, The Arabs and Medieval Europe, London, 1975

Islam and the West, Edenburgh. 1960

(٢) Watt.W, Muhammad: Prophet and Stateman, Oxford, 1961,P3

(٣) مقدمة كتابه: Mohammadanism نشرة أكسفورد .

المرصوصة فى الأبحاث العلميــة"(١)

ومهما يكن من أمر فإن العلاقـات بيـن الاستشـراق والتبشـير متشـابكة متداخلـة، وإذا نظرنـا ـ مثـلا ـ الـى المجـلات الاستشـراقية المتخصصة وجدنا المبشـرين المعروفيـن مـن بيـن أهـم وأبـرز كتابهـا، ونفس الشيء يقال عن المجلات التبشيرية المتخصصة؛ بحيث يصعب التمييز فى الغرض والمجال بينها، ونذكر علــى سبيل المثـال مجلـة "The Muslim World" الأمريكيـــة التـى رأس تحريرهـا المستشـرق الدكتور صمويل زويمر، ثم خلفه الدكتور كينيث كراج، ومجلة:"Middle East Studies"(تصدر فى نيويورك) و"The Middle East Journal" ومجلة:"Journal of the Oriental Society" ومجلة:"American Near Eastern Studies" التى تصدر فــى شيكاغو ..

يتحدث التقرير الصادر عن مؤتمر قسنطينة للمبشرين ١٩١٢م عن مجلة العالم الاسلامى:"The Muslim World" قائلاً:"نحن نرجو أن تكون هذه المجلـة المنبر العام للارساليات التبشيرية الــى المسلمين (على الأقل تلك الارساليات التى تتمركز فـى بـلاد تسـتعمل اللغـة الانجليزيـة) .... وأي عجز فــى ميزانيــة طبــع هــذه الدوريـة تلـتزم الارسـاليات متضامنة بتغطيته."

We would urge that this quarterly be adopted as the Common organ of missions to Moslems(at least of those whose home base uses English) as a means of Communication of thougt and methods and of announcements of literature prepared in other lands. Any deficit in the publication of this quarterly should be covered

---

(١) له : (العرب فى التـاريخ) ص٦٣، وانظر: (المستشرقون والاسلام) للدكتورعرفان ص٥، وانظربارت المرجع السابق ص١ .

by contributions from the missions co_operated[1] .

ويتحدث التقرير الصادر عن مؤتمر المبشرين الذى عقد فى حلوان بمصر ١٩١٢م عن مجلة العالم الاسلامى فى التوصية رقم (٢) قائلاً:

منذ ثلاث عشرة سنة تمثل هذه المجلة منتدى مفتوحا لكافة المنصرين المنتشرين فى كل أنحاء العالم الاسلامى. ولقد نشرت مقالات تتعامل مع الأدب المسيحى ومسألة تنصير العالم الاسلامى، تلك المسألة البالغة الأهمية. كما أنها حققت تداولاً واسعاً ، وتساند كل أولئك المهتمين بتنصير الشرق الأدنى .

ويثق هذا المؤتمر أن كل الجمعيات الممثلة فيه والمبشرين المستقلين سيولون هذه المجلة مساندتهم العميقة"

For thirteen years this magazine has been an open forum for scattered workers in every part of the Moslem World. It has published a number of articles dealing with Christian Literature and the problem of Moslem evangelization which are of permenent value. The magazine deserves a larger

---

(١) Conferences of Christian Workers among Moslems, 1924, P.63 (A brief Account of the Conferences together with their finding and Lists of members) published by the Chairman of the International missionary Council, New york, 1924 وهذا الكتاب وثيقة مهمة تحتوى على خطة المبشرين فى العالم الاسلامى وقرارتهم وتوصياتهم ، طبع طبعة خاصة للتوزيع الخاص والمحدود سنة ١٩٢٤م؛ كما جاء فى الكتاب ذاته وقد عثرت على نسخة منه فى مكتبة الدكتورمحمد حميد الله فى مجمع البحوث بباكستان.

circulation,and the support of all these interested in Evangelizating the Neaar East,The Conference trusts that all Socities here represented and individual missionary will lend the magazine hearty support ".

وأخيرا فإننا نسجل: أن كل باحث عن تـاريخ الاستشراق يستطيع أن يتبين بما لا يدع مجالا للشك أن الهدف الدينـــى كـان وراء نشـأنة الاستشراق، وقد صاحب الاستشراق طوال مراحل تاريخه، ولم يستطع أن يتخلص منه بصفـــة نهائيـــة.(١)

مـلاك القول إذا، أن الاستشراق ولد أولاً: فـى سـراديب الأديـرة والكنائس، ووظفه المستشرقون من رجـال الديـن فـى الغرب لتحقيق هدفهم فـى محاربة الاسلام بالافتراء الحـاقد عليـه، والـدس الرخيـص، والكذب، فـى محاولة لطمس وتشويه حقائقه، ووضع الحواجز والسدود بين الشعب الأوربـــى وتفهم الاسلام كمـا أنزلـــه اللـه تعالـــى وبلغـه رسوله صلى الله عليه وسلم. وقد نجح هؤلاء فـــى تحقيق أغراضهم وحرموا العالم الغربـى من نعمـــة الاسلام وهديه.

... لقد قـام الاستشـراق أساسـاً علـــى أن الاسـلام مـن وضـع محمـد،... فالإسلام ديـن بشـرى، وعلـــى أن الرسـول لفـق فيـه بيـن اليهوديـة والمسيحية، وأنه حـرف فـــى نقلـه تعاليم هـاتين الديـانتين؛ إمـــا لأنـــه لم يستطع فهمهما ـ كما يذكرون ـ وإما لأن محمداً نفسه لم يرتفع إلـى مستوى عيسـى حتـى يتصوره علـى حقيقته، ولذلك أنكـر محمد علـــى عيســى أنـه ابن الإلـــه، وبالتالـــى أنكر التثليث، وتشبث بـالتوحيد وببشـرية الرسول، نعم، قـام الاستشـراق علـــى مثـل هـذا الأساس

(١) د. مدكور: دراسات فى الفكر الاسلامـــى، ص٨٧

بشكل عام، ولكن المستشرقين يختلفون فيما بينهم فى تصوير آرائهم، وفى تقرير شروحهم لمبادئ الاسلام، وأشدهم حدة وعاطفة وهوى جامحاً وحيدة عن أدب الكتابة ....، فضلا عن البعد عن الأسلوب العلمى فى الدراسة والحكمة: المستشرقون الكاثوليك فى أوربا وأمريكا.(١)

يقول كيمون المستشرق الفرنسى الكاثوليكى فى كتابه (باثولوجيا الاسلام):"ان الديانة المحمدية جذام تفشى بين الناس، وأخذ يفتك بهم فتكاً ذريعا، بل هي مرض مريع، وشلل عام، وجنون ذهولى يبعث الانسان على الخمول والكسل، ولا يستيقظ منه الا لسفك الدماء، ويدمن على معاقرة الخمر، ويجمح فى القبائح، وما قبر محمد الا عمود كهربائى يبعث الجنون فى رؤوس المسلمين، ويلجئهم إلى الاتيان بمظاهر الصرع العامة والذهول العقلى، وتكرار لفظة (الله) إلى ما لا نهاية، والتعود على عادات تنقلب إلى طبائع أصيلة: ككراهة لحم الخنزير والنبيذ، والموسيقى، وترتيب ما يستنبط منه من أفكار القسوة والفجور فى اللذات..."(٢)

---

(١) ينقل الدكتور ألبرت حورانى فى كتابه (الاسلام فى الفكر الأوربى) نصوصا كثيرة فى غاية الأهمية؛ تبين الصورة الغربية عن الاسلام والقرآن ومحمد صلى الله عليه وسلم، ص٦:ص ٦٠ وانظر كذلك: Dr. Henry Stubbe, Rise and Progress of Mohanetanism, Lahore 1911

وهو كتاب فى غاية الأهمية وقد كتب فى القرن الثامن عشر وفيه تفنيد لوجهة النظر الغربية المتحاملة ضد الاسلام، فهو (نقد ذاتى للغرب) .

(٢) تاريخ الأستاذ الامام ح١ ص٩ عن: (الفكر الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمار) ص٤٥ .

لا شك إذاً، أن أوائل المستشرقين يتحملون وزر تشكيل موقف العداء التقليدى الذى يقفه الغرب من الاسلام والشرق، كما أنهم يتحملون كبر تأجيج هذا العداء وتأريثه، وتغذيته، والنفخ فيه...

لا جرم أن هؤلاء المستشرقين قد تسببوا فى حرمان ذويهم ومواطنيهم من خير عميم، كما تسببوا فى حرمان الانسانية ـ الغرب والشرق ـ من من التنعم بالحب والسلام والإخاء قروناً طويلة.

ولقد سأل الدكتور عبد الحليم محمود سؤالاً معقولا فقال: ان الاسلام واضح جلى، وإن تعاليمه سهلة ميسورة تنسجم مع العقل والمنطق، فما السر فى عدم أخذ الأوربيين بهذا الدين، وعدم اقتناعهم به فى سرعة سريعة وكثرة هائلة(١) ؟!!

لاشك أن ما بذله المستشرقون المبشرون من جهود هائلة لتشويه حقيقة الاسلام أمام المواطن الغربى كانت من أهم الأسباب التى حالت دون ذلك .

والملاحظ أن أساليب جديدة قد حلت اليوم محل الأساليب المعروفة السائدة، ونترك المجال للمستشرقة الأمريكية المعاصرة (Margaret Marcus) لتوضيح ذلك، فهي تقول :

" ان العالم الغربى مستمر فى حرب الاسلام بأكثر الأسلحة تطوراً، وعلى مستوى متقدم من الأستاذية، إذ يوجد ما لا يقل عن ثمانى مجلات دورية أمريكية وأوربية مكرسة كلياً، وثنتان مخصصتان بصورة جزئية للهجوم على الاسلام؛ وهذه المجلات هي:

العالم الاسلامى (هارتفور كنتيكت)، و دراسات الشرق الأوسط

---

(١) أوربا والاسلام ص٤١، طبعة دار المعارف

(نيويورك) وجورنال الشرق الأوسط (واشنطن) وجورنال جمعية الدراسات الشرقية (نيوهيفن كنيكتكت) ودراسات الشرق الأدنى (شيكاغو).

كما أن دور النشر الغربية تصدر فيضًا من الأدبيات التى تتناول العالم الاسلامى، وما لم تكن الدراسة المنشورة تحقيقا لنص قديم لمؤلف مسلم أو ترجمة لكتاب اسلامى، فإنه يحمل تأكيد ملامح التحيز والخصومة تلك التى تميز النظرة الغربية تجاه الاسلام، التى تتمثل فى أن: القرآن الكريم من عمل أو اختلاق محمد، وأن الحديث النبوى موضوع ومنحول، وأن الاسلام ليس أكثر من حركة مقاومة سياسية اقتصادية للبدو المقهورين، وليس حركة دينة. وأن الاسلام قد استلب القوة الابداعية الخلاقة للشعوب التى فتحها، وأن الاسلام ليس شيئا أكثرمن تلك الممارسات الراهنة للمسلمين المعاصرين؛ الخرافية الجبرية القديمة، اللاعلمية، واللاعصرية، والعائقة للتطور، والتى هي بحاجة الى اصلاح مثل ذلك الاصلاح البروتستانتى الذى اجتازته المسيحية .

وأن أفضل ما فى الاسلام ذلك التصوف الفردى المتحلل من أحكام الشريعة، المؤكد على سقوط الانسان، وحاجته الى مخلص علوى، ورفضهم تهمة التهالك على الخوض فى الحروب، ومذهبهم السنى المنغلق، وفوق كل ذلك فالاسلام يمثل أحط Inferior مستوى خلقى لتصوراته المادية الحسية عن الجنة، ولتدنى وضع المرأة فى الاسلام .

كما أن تحريمه للربا يمثل عقبة أمام التصنيع، كما أن خلق العفة والابتعاد عن الخمر يقفان حائلا دون التحضر والحرية الحديثة، وأن جموده العقيدى Dogmatism ضد التقدم. وأن الاسلام يقود أتباعه البؤساء المغلوبين على أمرهم إلى الهوس العقلى بتعليمهم أن الله يقف معهم، وأنه خالق كل شيئ (مؤلف أحداث التاريخ). كل هذه الأباطيل دائرة بصفة خاصة مع كل بحث غربى للدين أو الثقافة، أو التاريخ، أو الحضارة الاسلامية .

ومن جانب آخر فإن الدراسات الغربية قد نشرت الأمراض القومية والعلمانية بتعليمها أن المسلم إنما هو عربى، أو فارسى، أو تركى، أو هندى قبل أن يكون مسلما. وأن تركيزهم الشديد على الدراسات الفارسية يرمى الى فصل الشيعة عن السنة تماما. ودفاعهم الحماسى المستميت عن الكمالية التركية، وإبرازهم ضياء جوكيلب ومصطفى كمال أتاتورك على أنهم مصلحون ... ومعارضتهم للباكستان يعطى درسا أنهم يريدون للمسلم أن يتخلى عن ارادة السيادة، وأن يوطن نفسه على أن يعيش فى أقلية مقهورة. ولقد أخذ الغرب يبشر حديثا بالعالمية ويزعم أن الاسلام لن يستطيع مشاركة الأديان الأخرى فى الوجود ما لم يصلح نفسه.

ولقد خضعت البلاد الاسلامية خلال فترة طويلة للحكم الأوربى، وخضعت نظمهم التربوية والعلمية تماما تحت سيطرة غزاتهم ومستعمريهم؛ الذين اهتموا غاية الاهتمام بإقناع الأجيال الجديدة بالتفوق المطلق للحضارة العربية الحديثة، وتربيتهم علىالتخلى عن القيم والمثل التى جاء بها الاسلام، وقد نجح الأسياد الغربييون ـ بهذه الطريقة ـ فى خلق أدوات لهم فى كل بلد اسلامى . وعندما منحت

الحريـــة السياسية لهذه المستعمرات أخيرا، سلمت القيادة آليـــا لهذه الطبقـة المستغربـــة .....

وبعد الحـرب العالميـــة الثانيـة، عدل المستشـــرقون والمبشـــرون خططهم فى تغيير أفكار الأفراد المسلمين الـــى وجهة نظرهـم وأفكـارهم ، الى تغيير الاسلام نفسه باعطاء تفسيرات لـــه مختلفة تمامـا، وشـــن حركـــة منظمـــة لاعادة بنائـــه مـن الداخـل. وقـــد تبنـت معظـم كتابـات المستشرقين المعاصرة هذا الطريـــق(١) .

---

(١) مارجرت ماركوس فى كتابها: Islam and Orientalism ص ٢٠ - ٢٤ , ١٩٨١

ونسوق فيما يلى هذه النصوص التى ترجمناها بحروفها كما كتبتها هي:

"The Western World continues to fight Islam whith increasingly sophisticated weaponry. On the advanced level of scholarship, Islam is being bombarded by no less than eight American and European periodicals devoted entirely and two particularly to Islamic Studies. The former are: ***The Muslim World,*** (Hartford, Connecticut),***Middle East Studies***, (New york, N. Y.) ***The Middle East Jounal,*** Washington D.c> and the latter are ***Jounal of the Oriental Society,*** (New Haven, Connecticut) and ***American Near Eastern Studies,***(Chicago).

The Western Publishing houses print a steady stream of literature dealing with Islam and the Muslim peoples. Unless the publication is a pure edition of a text by a classical Muslim author or a translation of one, it bears definite marks of antagonism and prejudice characteristic of Western attitudes to Islam.

That the Holy Quran is the Work of Muhammad, that the Hadith literature is forged; that Islam is a mere politico-economic outburst by impoverished beduins rather than a religious movement, That Islam stifled the artistic creativity of the people it conquered; that Islam is nothing but the current practices of its present people; that it is superstitious, fatalistic, that is unscientific, un-modern, and opposed to development; that it stands in need of the same reformation Christianity underwent: that the best in Islam is Sufism with its individualism, anti-Shari'a emphasis on the falleness of man and his need for a master-savior, and repudiation of the warlike and exclusivist Sunnism; and above all that Islam stands on an inferior moral level with its materilistic conceptions of paradise and low status of Women, that its ====

ويؤكد د.ادوارد سعيد فى كتابه:Orientalism "أن الصورة المشوهة للاسلام والعرب مازالت مستمرة فى الدراسات الاستشراقية وفى وسائل الاعلام فى الغرب بوجه عام، وفى أمريكا بوجه خاص. وقد استشهد على ذلك بأمثلة عديدة حفل بها كتابه، وانتهى الى التأكيد بأنه ما زالت تنشر الكتب والمقالات دون توقف عن

---

prohibition of Interest is anti- ==================
industrialisation, its puritanical and anti-alcohol ethic is against urbanization and modern liberalism, its dogmatism is anti-progressive, and it drives its miserable and vanquished to people into psychosis by teaching them that God is on their side and that He is the author of history _ all these falsehoods are current in practically every Western presentation of the religion, culture, history and civilization of Islam.

In another dimension, Western works spread the nationalist and secularist diseases, teaching that a Muslim is an Arab, Persian, Turk or Indian before he is a Muslim. Their long emphasis on Persian studies is designed to separate *Shi'ah* from *Sunni*, to teach that Islam as given by the Prophet is desert-crude, that Persian Shi'ah esotericism had refined it and made it viable. Their enthusiastic defence of Turkish Kemalism pleads incessantly that Zyia Gokalp and Mustafa Kemal Ataturk were reformers long overdue and their opposition to Pakistan is dictated by the lesson that the Muslim must give up his will to sovereigntty and be content to live as a vanquished minority. Most recently, Western preaching has taken the line of ecumenism and the claim that Islam _ without reform _ is incapable of co-existence with other religions.

During the long period the Muslim countries were ruled by Europe, their educational systems fell completely under the sway of the conquerors who took great care that new generations would be thoroughly convinced of the invincible supremacy of modern Western civilization and taught them to despise all the cultural values Islam stands for. In this way European Masters successfully created within each Muslim country, their puppets. When politcal freedom was at last granted to the colonial possessions, the leadership automatically fell into the hands of this same westernized class which today dominates all Muslim countries. Their material support from the United States,, Great Britain, France and Russia. Whenever they achieve any particular

are rewarded with encouraging pats on ==========success, they

the back.

الاسلام والعرب، وهي لا تختلف اطلاقا عن الجدل الخبيث المعادى للاسلام فى القرون الوسطى وعصر النهضة ·يقول هارى دورمان: " لن يكون تركيز المبشرين فى السنوات القليلة القادمة على تغيير ديانة أفراد المسلمين، مثل عنايته بتغيير الاسلام نفسه."(١)

Books and articles are regularly published on Islam and the arabs, that represent absolutely no change over the virulent anti islamic polemics of the Middle Ages and Renaissance"

(P. 287)

Since the second world war, the orientalists ------------- and missionaries have shifted their efforts from trying to change individual Muslims and concert them to their views to changing Islam itself through providing it with a totally different interpretation and launching an organized movement for its reconstruction from within.

Harry Dorman: Towards Understanding Islam P.125 (١)

ويقول **Harry Dorman :**

" If the missionary is to be sensitive to the attitudes of reverences and humility where ever they are already found, he must be no less sensitive to the various reform movements in Islam and be ready to cooperate with them whenever it is possible and suitable to do so. Reform movements are earenest attemps to re-interpret religious teachings in the light of present experiences, or to interpret new experience in the light of religious teachings, and they are therefore of primary importance for the missionary. It is possible that one of these reform movements will have more significance for an eventual Muslim understanding of Christ than can now be imagined. It may even be that in the next few years, the chief contribution of the missionary in Muslim lands will not be so much the conversion of individual Muslims as the conversion of Islam itself. Here is a field of opportunity which cannot be neglected. An interesting line of investigation would be to study whether it is necessary for a Christian to love Muslims but hate Islam or it is possible to love Islam too and whether work for its regeneration .

"Almost all the recent works by orientalists have adopted this approach.It is not surprising to find our own self-appointed reformers using the same methods ".

صورة الاسلام

فـى الغرب فى العصور الوسطى

نص من كتـاب المستشرق: W. Montgomery Watt بعنـوان: The Influence of Islam on Medieval Europe(١)

الدين الاسلامــى أكذوبــة وتشويــه متعمــد للحقيقة :

كان مفهوم الأوربيين فى العصور الوسطـى عن العالم و الانسـان والـرب شـديد الارتبـاط بمفـاهيم الكتـاب المقـدس، بحيث لـم يكن فـــى وسـعهم أن يدركـوا إمكـان توفــر صياغـات بديلــة للتعبـير عـن هـذه المفـاهيم. وبالتالـــى فإنــه كلمــا أختلفـت تعـاليم الاسـلام مــع تعـاليم المسيحيــة، قيل: إن الأولـــى زائفــة بالضرورة.

ويمكن أن نضرب مثلا للنبرة العامـــة فـى الفكـر الأوربـــى بصدد هذه النقطـة فقـرة واردة فـى كتـاب القديـس تومـا الأكوينـى"Summa Contra Gentiles". والأكوينى كان من بين أكثر مفكرى القرن الثـالث عشر اعتدالا ونبوغـا ـ فبعد أن تحـدث عـن الآيـات والأدلـــة العديـدة التـــى تؤكـد صحة العقيدة المسيحيــة وتدعمها، نجده يصـر علـــى أن هذه الأدلة مفتقرة لدى أمثال محمد ممن أسسوا ما أسماه توما بالفرق.(٢)

---

(١) نشرته جامعة أدنبرة سنة ١٩٧٢ وهو مجموع محاضرات واط فى الكوليـج دى فرانس التى ألقاهـا سـنة ١٩٧٠م ، والترجمـة العربيـة للأستاذ حسـين أحمـد أمين. طبعة دار الشروق بمصر

(٢) يقصد توما الأكوينى أن محمداً صلى الله عليه وسلم، قد انشق عن المسيحيـــة وأسس فرقة جديدة، وأن الاسلام كما يقـول بطـرس المحـترم: "هرطقـة مسيحيـــة" يعنـــى فرقة مسيحية مبتدعـة وضالــــــة.

بالاضافـة إلـى "المتع الجسديـة" التى يبيحها الاسلام والتى تجذب الناس اليه، سذاجة الأدلـة والحجج التى جاء بها محمد، وخلطه الحق بقصص لا سند لها فى التاريخ، وتعاليمه الزائفـة، وافتقاره الـى المعجزات التـى تؤيد زعمـه أنه نبـى .

ثم وصف أتباعه الأول بـأنهم "رجال لا علم لهم بالالهيـات، يعيشون فـى الصحراء حياة أقرب إلـى الحيوانات" (وربما كان هذا الوصف منه بسبب قبولهم لأي زعم دون مناقشة أو تمحيص). ثـم يضيف قولـه إن هؤلاء الأتباع كانوا مع ذلك من الكثرة بحيث مكنوا محمدا من إجبار الآخرين بالقوة العسكرية علـى اعتناق الاسلام. وذكر أنه بالرغم من زعم محمد أن الكتاب المقدس تنبأ بظهوره، فإن النظرة المدققة توضح أنه حرف كل شواهد العهدين القديم والجديد".

وفـى حين قنع توما الأكوينى والكثيرون غيره من الكتاب بالقول بأن محمداً خلط الحق بالباطل، تمادى آخرون فادعوا أنـه "حيثما قال قولاً سليما دس فيه السم الكفيل بافساده" وبالتالـى فإنه يمكن مقارنـة أقوالـه الصادقـة بالعسل الذى إنما أضيف ليخفى السم تحته. أو علـى حد قول أحدهم:" لاحظ فى الكتاب بأسره دهاءه الرائع المتمثل فـى أنـه كلما أراد أن يقول شيئا شريرا، أو يعيد إلـى الأذهان شيئا شريرا ذكره من قبل، أسرع بإضافة كلام عـن الصوم أو عـن الصلاة أو عـن حمد الله"

وانما كان قصدهم من هذا الحديث فى معرض رسمهم لصورة الاسلام: بيان تناقض هذه الصورة مع الصورة المسيحية. فقد ارتأوا أن الكتاب المقدس هو التعبير النقى الذى لا تشوبه شائبة عن الحقيقة

الإلـهية، وفـي طياته شكل مطلق صالح لكل زمـان ومكـان. وقـالوا إن التعـاليم المسـيحية تستـهوى عقـول النـاضجين والمتعلمـين والمثقفيـن، وأنها تجد فـي الشواهد التـاريخية سنداً صادقا يؤازرها.

ب - *إن الاسلام دين العنف والسيـف:*

كنا قد ذكرنا عرضاً: أنه حتـى العلمـاء من أمثـال توما الأكوينـي كانوا يحسبون أن محمداً إنما نشر الاسلام بالقوة العسكريـة. كما كانوا يخالون أنه من بين تعاليم دين العرب الدعوة إلـى "السرقة من أعداء الله ورسوله وأسرهم وقتلهـم، واضطهادهم وهدمهم بـأى صورة مـن الصور" (بدرو دو الفونسو). بل لقد بلـغ الأمر بـأحد كبـار المتحمسين المدافعين عن الحروب الصليبية، وهـو Humbert of Romans إلـى حد قولـه:" إن المسلمين شديدو الحمـاس لدينهم لدرجـة أنهـم يقطعون دون رحمـة رأس أي مخلوق يهاجم هذا الدين فى أي إقليم يسيطرون عليه".

والواقـع أن الصورة الأوربيـة للاسلام هـي أبعد مـا تكـون عـن الحقيقة، وقد بينا فى الفصل الأول أن اليهود والنصارى وأتباع الديانات الأخرى التـى يعترف الاسلام بها لم يخيروا بين الاسلام والسيف، وأن الذين خيروا بينهما هـم عبدة الأوثـان وحدهـم، ولـم نسمع الكثير عن حدوث هذا خارج شبه جزيرة العرب. أما النشـاط الحربـي للمسلمين، وهو الذى يمـلأ خبره كتـب التـاريخ، فإنمـا أدى إلـى توسـع سياسـى، وجاء اعتناق الاسلام نتيجة للدعوة إليه أو نتيجة الضغط الاجتماعـى.

وفـي تلـك الصورة لـلإسلام باعتبـاره دين عنـف، مـا يـراد بـه الإيحـاء بأنـه مخـالف تمامـا لصورة المسيحية باعتبارهـا دين سـلام، انتشـر عن طريـق الإقنـاع، ومـن أن يصدق الرجـال المشـتركون فـى الحروب الصليبية أن دينهم دين سلام، وأن دين خصومهم دين عنف.

وقد أدرك بعض الكتاب أن مفهوم دين السلام مثالى لا علاقة كبيرة بينه وبين الواقع وذهبوا إلى أن عدم مراعاة المسيحيين السيئين لهذا المثل الأعلى لا يشكل اعتراضا مقبولا على المسيحية. ويبدو أنهم فسروا هذا التناقض بذكرهم أن الغرض من الحروب الصليبية لم يكن إجبار العدو على اعتناق المسيحية بالقوة، وإنما كان ـ على حد تعبير توما الأكوينى فيما بعد ـ منع الكفار من الوقوف حجر عثرة فى سبيل العقيدة المسيحية. وربما كانوا يعنون أيضا استرداد أراض يرون أنها حق المسيحيين.

جـ ـ *أن الاسلام دين يطلق لشهوات المرء العنان:*

نظر الأوربيون فى القرون الوسطى إلى الاسلام على أنه دين يتيح الفرصة لإشباع الشهوات؛ خاصة الشهوة الجنسية. وكثيرا ما كانوا يحسبون أنه لا حدود لعدد الزوجات التى يمكن للرجل الزواج به اللهم إلا قدرته على الإنفاق. بل إن هناك من الكتاب من كان يعلم أن الاسلام لا يبيح الزواج بأكثر من أربع نساء، وكتب مع ذلك يقول إن الحد الأقصى هو سبع أو عشر!!. وكثيراً ما ترجموا آيات قرآنية بحيث توحى بمعنى جنسى منفر، والآيات بريئة من ذلك. بل لقد وجد واحد على الأقل من الكتاب آية قرآنية زعم أنها تبيح الزنى. ووجد آخرون متعة فى مضاعفة التفاصيل الخاصة بالحياة الجنسية لدى المسلمين، وقيل إن أشكالاً حيوانية وغير طبيعية للاتصال الجنسى بين الزوجين يمارسها المسلمون بكثرة ويحثون عليها. بل ذهبوا إلى أن القرآن يبيح الشذوذ الجنسى. و رأى البعض ذروة الشذوذ الجنسية الاسلامية فى التصوير القرآنى للجنة، وتحدثوا طويلا عن الحور العين اللواتى سيكن من نصيب المؤمنين فيها، ووجدوا فى ذلك فضيحة أيما

فضيحة. كذلك انتقدوا بشدة حياة محمد الزوجية، وإن كانوا كثيراً ما بنوا انتقاداتهم على مبالغات أو مزاعم كاذبة.

ولبعض تفاصيل هذه الصورة التى رسمها أوروبيو العصور الوسطى أساس من الواقع. فللمسلم أن يتزوج من أربع نساء، بالاضافة إلى التسرى بمن ملكت يمينه، وله أن يطلق امرأته دون أن يذكر السبب. ومع ذلك فالزواج والطلاق تحكمهما إجراءات شرعية دقيقة، ولا يتمان بطريقة عفوية. أما عن العلاقات الجنسية خارج نطاق الزوجية فثمة مجتمعات إسلامية شديدة التعفف، وقد تقتل الفتاة التى تلد مولوداً غير شرعى على يد أحد أفراد العائلة التى فضحتها بسلوكها. ويعاقب على الزنى بين متزوجين بالرجم (كما كان فى الكتاب المقدس)، وإن كان توقيع العقوبة مشروطاً بشروط شرعية كثيرة تجعل من النادر حدوثه. فإن كان فى الجنة كما وصفها القرآن حور عين أو أزواج مطهرة، فكثيرا ما يذكر أن المتعة الكبرى هي رؤية وجه الله. وبالتالى فإن الصورة التى رسمت فى العصور الوسطى للحياة الجنسية الاسلامية هي صورة زائفة فى كثير من الوجوه.

كذلك رأى الأوروبيون المسلم مطلقا العنان لشهوات أخرى. فالحياة الرغدة فى أسبانيا وصقلية الاسلاميتين بدت فى أعين العاجزين عن الاستمتاع بمثل هذه الكماليات حياة قائمة على إشباع الشهوات. وزعموا أن القرآن يعلم الناس آن ينقضوا عهودهم متى كان فى نقضها مصلحة لهم وأنه يذكر أن بوسع المرء أن يدخل الجنة دون أن يأتي بأعمال صالحة؛ ما دام قد نطق بالشهادة. وظنوا أيضا أن إيمان المسلمين بالقضاء والقدر ليس إلا مبرراً لكسلهم وخوضهم الحياة على غير هدى. وهنا أيضا تحوى صورة الاسلام مزيجا من الحـــق

والباطل، فالاسلام يهاجم الرهبنة، ولا يرى فـى العزوبـة فضـلا كبيراً. غير أنه فى نفس الوقت يقر معظم الأشكال الأخرى للزهد. أما صوم رمضان ففيه مشقة عظيمة، ومع ذلك فلا تزال قطاعات كبيرة من سكان الدول التى يشكل المسلمون الغالبية فيها تلتزم به إلى يومنا هذا. ويوحى هذا المظهر من مظاهر الصورة الأوروبية عن الاسلام بأن العالم المسيحى يكبح جماح شهواته. فالمؤكد أن المثل المسيحى الأعلى هو الزواج من واحدة لمدى الحياة، بل وكان من الشائع الاعتقاد بأنه حتى فى إطار الزوجية لا يمكن اعتبار الاتصال الجنسى خيرا محضا، إذ أن الهدف من القوة التناسلية هو إنجاب الأطفال لا اللذة. وسنذكر حالاً بعض الإيحاءات الأخرى لهذه النقاط المثارة حول الشهوة الجنسية.

د ـ *أن محمداً هو المسيح الدجـال :*

لم يكتف بعض الدارسين الأوروبيين للإسلام بالزعم أن القرآن يحوى الكثير من الكذب، وأن محمداً ليس بنبي، فقد تناول "بطرس المحترم" فكرة لبعض العلماء اللاهوت اليونانيين وهي: أن الاسلام هرطقة مسيحية(١)، وذهب الى أن الاسلام أسوء من هذا، وأنه من الواجب اعتبار المسلمين كفرة. وكان جوهر التفكير المسيحى فى هذا الصدد، هو أنه حيث إن محمد ليس بنبي، وحيث أنه أسس مع ذلك ديناً جديداً، فلا بد أنه ساهم إيجابيا فى مساندة قوى الشر، ولا بد أنه كان إما أداة للشيطان أو عميلا له. وبهذا جعلوا الاسلام والمسيحية على طرفى نقيض.

---

(١) أول من ذكر هذه الفرية:(الاسلام هرطقة مسيحية) هو يوحنا الدمشقى فى القرن الثانى للهجرة .

(٢) هذا يؤكد ما ذكرناه من قبل أن هذه الكتابات عن الاسلام خلقت روحاً عدائياً بين الغرب المسيحي والشرق الاسلامى لا تزال مسيطرة على العلاقات حتى اليوم.

الاستشراق والاستعمار

الاستشراق والاستعمار

بعد أن قدمنا لمحة موجزة عن نشأة الاستشراق وصلته بمؤسسات التبشير ورجال الدين والحروب الصليبية، لا يسعنا إلا أن نلقي بعض الضوء على العلاقة الحميمة بين الاستشراق والاستعمار فى العصر الحديث

لم تنس أوربا هزيمتها المنكرة فى الحروب الصليبية، ورغم مرور القرون العديدة على أحداثها ووقائعها، حتى لاحت للغرب فرصته الذهبية فى العصرالحديث، فانقض على الشرق الاسلامى المترنح ـ بفعل عوامل التخلف والانحطاط الثقافى والسياسى والعسكرى والاقتصادى التى حاقت به وأحاطت ـ فوضع رقبة الشرق تحت قيده الغليظ، ومارس معه أبشع أنواع البطش، وأقسى صنوف الجبروت والطغيان والتشفى المرذول.

لم ييأس الغربيون بعد هزيمتهم فى الحروب الصليبية، فراحوا يدرسون هذه البلاد فى كل شئونها: من عقيدة ولغة وحضارة، وعادات وتقاليد وأخلاق؛ ليتعرفوا على مواطن القوة فيضعفوها، وإلى مواطن الضعف فيغتنموها..، أي أن الاستشراق[١] قد أدى دورا كبيرا فى التهيئة والتمهيد لاستعمار العالم الاسلامى فى القرن التاسع عشر الميلادى.

ولما تم للغرب ما أراد، وسيطر على الشرق الاسلامى عسكريا، وسياسياً، هب الاستشراق للعمل على اضعاف المقاومة الروحية والمعنوية فى نفوسنا، وبث الوهن والارتباك فى تفكيرنا؛ وذلك عن طريق التشكيك فى فائدة ما بأيدينا من تراث، وما عندنا من عقيدة وقيم إنسانية؛ حتى نفقد الثقة بأنفسنا[٢]، ونرتمى فى أحضان الغرب ... نستجدى منه المقاييس الخلقية والمبادىء

(١) أسهم كثير من المستشرقيـن ـ فى القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين ـ فى تحقيق الأهداف الاستعماريـة، ولا يزال بعضهم إلى اليوم يعمل فـى نفس الإتجـاه؛ وذلك بإقرار المستشرقين بأنفسهم كما سنرى .

(٢) لقد صرح كثـير مـن المستشـرقين بهـذه الحقـائق ... انظـر: Dr. E. Said Orientalism

الأيديولجية، وبذلك يتم لهم ما يريدون فى خضوعنا لحضارتهم وثقافتهم خضوعا لا تقوم لنا من بعده قائمة(١)

انظر إليهم كيف يشجعون - فى بلادنا - القوميات التاريخية البائدة التى عفى عليها الزمن واندثرت منذ حمل العرب رسالة الاسلام، فتوحدت لغتهم وعقيدتهم، وثقافتهم، ومشاعرهم، وطموحاتهم وتطلعاتهم وبلادهم، وحملوا هذه الرسالة إلى العالم فأقاموا بينهم وبين شعوبه روابط انسانية وتاريخية وثقافية، ازدادوا بها قوة، وازدادت تلك الشعوب بها رفعة وهداية.

انهم ما برحوا منذ نصف قرن أو يزيد يحاولون احياء الفرعونية فى مصر، والفينيقية فى سوريا ولبنان وفلسطين، والأشورية والمندائية والحرنانية فى العراق، والبربرية فى الشمال الإفريقى، وهكذا ليتسنى لهم تشتيت شملنا كأمة واحدة، وليوقفوا قوة الاندفاع التحررية عن عملها فى قوتنا وتحررنا وسيادتنا على أرضنا وثرواتنا، وعودتنا من جديد إلى قيادة ركب الحضارة، والتقائنا مع اخواننا فى العقيدة والمثل العليا والتاريخ المشترك والمصالح المشتركة(٢)

وقد كان للسيطرة الغربية على الشرق الاسلامى دورها فى تعزيز

---

(١) يتفق الباحثون على ذلك .. راجع ما كتبه د. ادوارد سعيد (الاستشراق) ص٥٢ ، ٧٣ ومواضع أخرى كثيرة ؛ والدكتور زقزوق ص٤٣ ، ٤٨ ؛ والدكتور حسن حنفى فى مقدمته لعلم الاستغراب والدكتور عرفان عبد الحميد ١٤ - ١٥ ، والدكتور قاسم السامرائى ص ٣١ وما بعدها ، والدكتور البهى ص ٣٠ والدكتور عبد الحليم محمود، ود. مصطفى السباعى.

(٢) الدكتور مصطفى السباعى، مرجع سابق، ص١٨ .

موقف الاستشراق، بل قد تواكبت مرحلة التقدم الضخم ـ فى مؤسسات الاستشراق وفى مضمونه ـ مع مرحلة التوسع الأوربى فى الشرق(١) ولأن الاستعمار التوسعى قد أفاد من الاستشراق فوائد جمة، عمل على تغذيته ورفع مكانته؛ ذلك أن الهدف الاستعمارى لا ينفك عن الهدف الاستشراقى ـ غالباً ـ فى العصر الحديث.

نجح المستعمرون فى توظيف المؤسسة الاستشراقية الغربية فى خدمة أغراضهم وتحقيق أهدافهم، وتمكين سلطانهم فى بلاد المسلمين... وقد نشأ رباط رسمى وثيق بين هاتين المؤسستين : مؤسسة الاستعمار، ومؤسسة الاستشراق. وقد خاض فى هذا كثير من المستشرقين الذين ارتضوا لأنفسهم أن يكون عملهم " وسيلة لإذلال المسلمين، وإضعاف شأن الاسلام وقيمه " وهذا عمل يشعر إزاءه المستشرقون المنصفون بالخجل والعار؛ وفى ذلك يقول المستشرق الألمانى المعاصر (استفان فيلد Stephan Wild) " ... والأقبح من ذلك أنه توجد جماعة يسمون أنفسهم مستشرقين سخروا معلوماتهم عن الاسلام وتاريخه فى سبيل مكافحة الاسلام والمسلمين، وهذا واقع مؤلم، لا بد أن يعترف به المستشرقون المخلصون لرسالتهم بكل صراحة(٢) . ولا ننسى ـ فى هذا الصدد ـ مواقف كبار المستشرقين وارتباط عملهم، وتسخير علومهم الاستشراقية فى خدمة الاستعمار، ومنهم على سبيل المثال : المستشرق

---

(١) نقلاً عن الدكتور زقزوق فى كتابه: (الاسلام فى الفكر الغربى) ص٦٠، وانظر كذلك: الفصل الأول، Dr.A. Hourani, Islam in European Thought

(٢) رودنسون: (مقال فى تراث الاسلام) لشاخت وبوزوورث، ترجمة د. زهير السمهورى،ج١ ص٨٣، الكويت ١٩٧٨، ادوارد سعيد ص٢٢٥، د. زقزوق ص٤٣

(كارل هينريش بيكر Karl Heinrich Becker) توفى ١٩٣٣ مؤسس (مجلة الاسلام) الألمانية الذى قام بدراسات تخدم الأهداف الاستعمارية الألمانية فى إفريقيا. فقد حصل الرايخ الألمانى فى عام ١٨٥٥ ـ ١٨٨٦م على مستعمرات فى إفريقيا تضم مناطق بعض سكانها من المسلمين، وظلت تلك المناطق تحت السيادة الألمانية حتى عام ١٩١٨م . وقد أدى ذلك إلى تأسيس معهد اللغات الشرقية فى برلين عام ١٨٨٧ وهو معهد كانت مهمته تتلخص فى الحصول على معلومات عن البلدان الشرقية الحالية وعن شعوب هذه البلدان وثقافتها.(١)

هذا عن نشأة معهد اللغات الشرقية فى برلين لخدمة الاستعمار، وقد ذكرنا من قبل انشاء كراسى لتدريس اللغة العربية وآدابها فى جامعات أكسفورد وباريس وسالمنكة وروما لخدمة الأغراض التبشيرية(٢)

وننقل عن المستشرق الإنجليزى (آرثر جفرى آربرى A. J. Arbarry) ما جاء فى المذكرة التى رفعها جمع من العلماء سنة ١٦٣٩ إلى المسئولين فى جامعة كمبردج، والتى طلبوا فيها انشاء كرسى للدراسات العربية بالجامعة: "يضع المركز نصب عينيه خدمة مصالح الملك والدولة، وذلك بالعمل من أجل إزدهار تجارتنا مع الأقطار الشرقية، وتوسيع حدود الكنيسة ـ إذا شاء الله ـ فى الوقت المناسب، ونشر هدى الدين المسيحى بين أولئك الذين لا يزالون يتخبطون فى ظلمات الجهالة.(٣)

---

(١) انظر كتاب المستشرق رودى بارت ص٣١ ـ ٣٢ .

(٢) Southern, R. W. P. 4

(٣) A. J. Arbarry , The Cambridge School for Arabic, 1948 P. 8

وهكذا تمتزج أهداف الاستشراق مع التبشير من جهة، ومع الاستعمار من جهة أخرى.

يقول المستشرق الألماني (أولريش هارمان Uirich Harman) :" كانت الدراسات (الاستشراقية) الألمانية حول العالم الاسلامي قبل عام ١٩١٩م أقل براءة وصفاء نية؛ فقد كان كارل هينريش بيكر - وهو من كبار مستشرقينا - منغمساً في النشاطات السياسية، حتى أنه أصبح في عام ١٩١٤م شديد الحماس لمخطط استخدام الاسلام في إفريقيا والهند كدرع سياسية في وجه البريطانيين."(١)

أما عن اعتماد (نابليون بونابرت) قائد الغزوة الفرنسية لمصر (١٧٩٨ ـ ١٨٠١) على جهود المستشرقين واصطحابه لهم، وأخذه بمشورتهم وتوجيههم، واستخدام معرفتهم وخبرتهم بالاسلام والمسلمين في الأغراض الاستعمارية لغرض السيطرة والتوسع فأمر معروف، يؤكد هذه العلاقة الآثمة بين المستشرق والمستعمر.

وإن المنشورات التي أذاعها نابليون على المصريين، وقد ملأها بالدجل والخداع والتغرير بالمصريين ـ قد صيغت من واقع خبرة المستشرقين ومعارفهم ، وقد اعترف نابليون بذلك ـ في فخر وزهو ـ اعترافات لا تنقصها الصراحة، ولا تفتقر إلى الوضوح.(٢)

---

(١) مقال عن الاستشراق، مجلة (الباحث) ص ١٤٥ ، فبراير ، ١٩٨٣

(٢) Albert Hourani : Islam in European Thought , Cambridge Univ. Press 1991 P. 15

اعتمد نابليون على كثير من المستشرقين؛ من بينهم مونج ورجاله وفنتورا ومارسيل وسولكو فسكى والبارون دتوت وغيرهم .. ومما هو معروف عن نابليون أنه حاول استغلال (عقيدة القضاء والقدر) للتغرير بالمصريين وإيهامهم أنه إنما جاء تنفيذاً لقدر إلهى مسلط على المماليك ـ حكام مصر آنئذ ـ وأن الله قدر إنهاء دولة المماليك على يديه ..، وأكد هذه الفكرة الخبيثة فى بيان العفو الذى أصدره عقب ثورة القاهرة الأولى سنة ١٧٩٨م ، حيث جاء فيه :" أيها العلماء والأشراف، أعلموا أمتكم ومعاشر رعيتكم بأن الذى يعادينى ويخاصمنى إنما خصامه من ضلال عقله وفساد فكره .. ولا ينجو من بين يدى الله لمعارضته لمقادير الله سبحانه وتعالى. والعاقل يعرف أن ما فعلناه بتقدير الله تعالى وإرادته وقضائه ... ، وأن الله قدر فى الأزل أنى أجيئ من الغرب إلى أرض مصر لهلاك الذين ظلموا فيها وإجراء الأمر الذى أمرت به. ولا يشك العاقل أن هذا كله بتقدير الله وإرادته وقضائه .."(١)

ويؤكد هذا المعنى محذراً ومبيناً أنه سيأتى يوم يظهر فيه للناس "ان كل ما فعلته وحكمت به فهو حكم إلهى لا يرد، وأن اجتهاد الانسان غاية جهده، ما يمنعه عن قضاء الله الذى قدره وأجراه على يدى."(٢) وقال نابليون فى أحد مشوراته: "وأؤكد لكم ، معاشر المصريين، ان الفرنسيين يعبدون الله أكثر من المماليك، كما أنهم يجلون الرسول،

---

(١)(٢) عبد الرحمن الجبرتى : عجائب الآثار فى التراجم والأخبار طبعة القاهرة ١٣٢٢ هـ، وقارن الدكتور عبد الحميد مدكور ص١٥٥ ـ ١٥٨ وانظر :(بونابرت فى مصر) تأليف كرستوفر هيرولد، الترجمة العربية لفؤاد اندراوس ، والدكتور ألبرت حورانى: الاسلام فى الفكر الأوربى ص١٥

والقرآن الكريم، .. وأن الفرنسيين مسلمــون خلــص"(١)

هكذا فقد أراد نابليون بعقيدة القضاء والقدر ـ وهي عقيدة حق وأصل من أصــول الإيمــان ـ بـاطلاً وزوراً، وإنمـا زيــن لــه ذلـك بعـض المستشرقين الذين سخروا علومهم فى خدمتــه.

كمـا عمـل المستشرق النمسـاوى Alfrid Von Kramer المتوفــى ١٨٨٩م مستشاراً للامبراطوريــة النمساوية وخدمهـا مـدة ثلاثين سنة فى مصر ولبنان ومناطق أخرى.(٢)

وكذلـك فقـد كلفت الحكومـة الروسيــة المستشـرق (بــارتولد Bartold) مؤسس مجلة (عالم الاسلام) ـ المتوفى سنة ١٩٣٠ ـ الروسـية بالقيـام ببحوث عن الاســلام والمسـلمين تخـدم مصـالح السياسـة الروسيـة فـى آسيـا الوسطـى.

أما المستشرق العتيد عالم الاسلاميات الهولنـدى (كرسـتيان سـنوك هورجرونيــه) المتوفــى سـنة ١٩٣٦م فقـــد وضـــع نفســـه وعلومـــه الاستشراقية فى خدمة الاستعمار الغربـى ... وفـى سبيل الوصـول إلـى الأهداف الاستعمارية تسلل إلى (مكــة المكرمــة) متجسسـاً وقضـى بهـا وقتا غير قليل. والثابت تاريخيا أنـه قد أظهـر الاسـلام احتيـالاً، واسـتمر يمثل هذا الدور على المسلمين فى مكة، ثم فى إندونيسيا (التى تحتلهـا هولندا) طيلة حياتـه ...، ومما لا شك فيه أنه كان بارعاً فى تمثيل الدور علـى كثير مـن المسلمين الذيـن منحـوه الحــب فخانـــهم. مكـث هـذا المستشرق قرابـة ستة أشهر فى مكـة، متخذاً اسم (عبد الغفار)، وصار يختلـف إلـى مجالس العلمـاء وشيوخ التعليـم فــى مكـــة المكرمـــة، فوطـــــــــــــد علاقاتـــــــــــــــه

---

(١) ألبرت حورانـى: ص٣٦ .

(٢) المرجع السابق .

معهم، ومع علماء جاوه وسومطرة وأجـى؛ ممن كانوا يختلفون إلى مكـة ... ويتوقع الدكتور قاسم السامرائى أن يكون الشيخ المفتى أحمد بن زينى دحلان قد أجازه وزوده برسالة توصية لعلماء (أجى) لتتم بها خطة سنوك فى اندونيسيا وخاصة فى إقليم (أجى) الذى كان ثائراً على الحكم الهولندى.(١)

يرى المستشرق (فاندر مولن) أنه حتى لو اعترفنا أن "سنوك هورجرونيه" كان يكن الاحترام للاسلام فإن سياسته الاستشراقية كانت تعنى رفض محتوى الاسلام السياسى، وابداله بقوانين (العادات) كما جاء فى التقرير المشهور السيئ السمعة الذى قدمه سنوك للحكومة الهولندية (لتبرير) الحرب الدموية التى شنتها ضد إقليم أجى الأندونيسية، والتى قادها الجنرال هوتش بإرشادات سنوك (وعلمه العظيم وأحكامه الفائقة التى استغلت للأغراض العملية) كما يقول فوخل ... ولذا لقب الجنرال بأنه (سيف سنوك الضارب) لأنه أباد قرى بكاملها: برجالها ونسائها وأطفالها ....، معتمداً على خبرة سنوك.

ويؤكد (فوخل) أن هدف سنوك الحقيقى مكة نفسها: المركز الدينى للعالم المحمدى. أما (فرانك شرودر) فيقول :"لقد زار المدينة المقدسة (مكة المكرمة) كثير من المغامرين المتنكرين، وبعض نوى

---

(١) يقول الدكتور قاسم السامرائى (وهو خبير بمستشرقى هولاندا لأنه يعيش منذ امد بعيد بين أظهرهم) : كل من كتب عن كرستيان سنوك من مستشرقى هولاندا، كال له المديح وغرف له الثناء... يقول (دريفس) : إن دراسة سنوك الرائدة للشريعة الاسلامية وما يعنيه الاسلام فى حياة أتباعه جعلته واحداً من مؤسسى علم الاسلاميات الحديث." وقال فرانك شروردر :"لقد صار سنوك خبيرا بالشريعة الاسلامية ... وقد أخذ على عاتقه مهمة تصحيح الآراء الخاطئة" وقال فادر مولن: "إنه البطل المكافح، وإنه قدم نفسه فداءً للمسيح."

المعرفة، بيد أن سنوك كان بلا شك أحسنهم تجهيزاً ، فقد عاش حياة مسلم تحت اسم عبد الغفار.

ولم تكن دراسة الشريعة الاسلامية عند سنوك إلا لأغراض عملية، وتعنى هذه الأغراض العملية؛ توظيف العلم بالشريعة لخدمة أغراض الاستعمار والتمكين له. وقد بين سنوك ذلك عندما كتب تعريفاً لكتاب المستشرق (سخاو) سنة ١٨٩٩م ، فقال: "الشريعة فى وضعها العملى، كان عليها أن تقدم تنازلات هائلة لعرف وتقاليد الناس واستبداد حكامهم. ومع هذا فقد احتفظت بتأثير واسع المدى على حياة المسلمين؛ لذلك كانت ولم تزل لنا موضوعا مهما للدراسة؛ لا لمجرد الأسباب المتعلقة بتاريخ الشريعة والحضارة والدين، ولكن لأغراض عملية ؟!. وكلما ازدادت صلات أوربا الودية مع الشرق الاسلامى، ازداد معها وقوع الأفكار الاسلامية تحت سيطرة أوربا ..، كلما أصبح الأمر مهما لنا نحن الأوربيين، كى نكون على معرفة بالحياة الفكرية ومفاهيم الاسلام وشريعته الدينية".(١)

فمعرفة الشرق الاسلامى عند سنوك ـ حسب تعبير إدوارد سعيد ـ إما أن تزيد أو تعمق الخلاف الذى بواسطته تستطيع السياسة الأوربية أن تمتد على آسيا الاسلامية.(٢)

وفى تقرير (أجى) غير المنشور الذى كتبه سنوك ـ حث الحكومة الهولندية الاستعمارية على استعباد إقليم أجى، لأن احتلاله سوف (يزيل من الوسط الاسلامى كراهية كل شيئ، غير اسلامى، ومن ثم فإن

---

(١) د. قاسم السامرائى: مرجع سابق ص١١١ ، ١١٣

(٢) A. Hourani, P. 42 , E. Said, PP. 255 - 56

سكانه سوف يقبلون ما يملـى عليهم من المفاهيم الأوربيـة التـى ترفـع من شأنهم؛ لأن العقيدة الاسلاميـة تحـث على كراهية الكافر لتعصبها". وفى مكان أخر يقول: إن الشريعة الاسلامية مثالية توجد فـى المدارس فقط، وليس لها تأثير فى الحياة العامـة.

وقد تقمص (سنوك) شخصية كاتب من (جاوة) وأخذ يرى المسلمين فى إندونيسيا كيف ينبغى أن يكونوا .. وهذا فـى سلسلة مقالات أبـدى فيها سنوك الوجه الاستعمارى سافراً ... ومما جاء فيها: " لـم ألـق إلا فى النادر أناساً من أهل بلدنا أندونيسيا من كان يرى أننا جديرون بـأن نتخلص من وصاية الأوربيين التى فرضها الله علينا. وكان من خطتـه " ربـط المستعمرات الهولانديـة فـى اندونيسيا بروابط ثقافيـة بأوربـا، ومن ثم فإن هذه الروابط تسلـب "كل خلاف دينـى من أهميته السياسية والاجتمعاعيـة" وقصد سنوك ـ كما هو واضح ـ أن احـلال ثقافـة أوربـا محل الاسلام،(١) يسهل التبعية السياسية والدينيـة. وهـذا الانكـار لـدور الشريعة السياسـى والثقافى والاجتماعـى نراه واضح المعالم فى كتابات معظم المستشرقين وفى كتابات تلاميذهم الشرقيين. ومـن المعروف أن سنوك هـذا كـان زميـلاً وصديقـاً حميمـاً للمستشرق اليهـودى (إجنـاس جولدزيهر) ١٨٥٠ ـ ١٩٢١ . هذا ويؤكد المستشرق (رودى باريت) مـا ذكرنـاه بشأن وضـع المستشـرقين خـبرتهم وعلومهـم تحـت تصـرف السلطات الاستعمارية الغربية، فيذكـر أن سنوك هورجرونيـه قد شـغل عدة مناصب قيادية فى السلطنة الاستعمارية الهولندية، وأوتـى بذلك ـ

---

(١) د. قاسم السامرائى ص١٠٩ وانظر د. زقزوق ص٤٥، ٤٦ إدوارد سعيد ص ٢٥٦

فيما أوتى ـ فرصة معرفة العرف السائر بين المسلمين هنالك معرفة وثيقة.(١)

وفى فرنسا كان زعماء المستشرقين مستشارين لوزارة المستعمرات الفرنسية فى شئون شمال إفريقيا؛ فقد شغل المستشرق المعروف (دى ساس) منصب المستشار المقيم فى وزارة الخارجية الفرنسية. وعندما غزا الفرنسيون الجزائر سنة ١٨٣٠ كان دى ساس هو الذى ترجم البيان الموجه إلى الشعب الجزائرى وكان يستشار بانتظام فى جميع المسائل المتعلقة بالشرق من قبل وزيرى الخارجية والحربية منذ ١٨٠٥م .

وإلى عهد قريب كان المستشرق الذائع الصيت (لويس ماسنيون) مستشارا للادارة الاستعمارية الفرنسية فى الشئون الاسلامية ..(٢) وزيادة فى التضليل والخداع والتمثيل زعم أنه قد أسلم، وتسمى بـ (عبده محمد ماسنيون) ، وقد كتب ـ فيما كتب ـ خطاباً إلى الشيخ محمود شكرى الآلوسى عام ١٩٣٢م ، ومهره بهذا التوقيع(٣) ويشير الدكتور حورانى إلى أهمية موقع ماسنيون بين المستشرقين قائلاً: "لقد مارس ماسنيون بأصالة أفكاره، وقوة ذهنه تأثيراً عميقا على الدراسات الاسلامية فى فرنسا، بل وفى تشكيل نظرة الغربيين إلى

---

(١) رودى بارت ص٣١ وانظر الدكتور غراب " رؤية إسلامية للاستشراق "

(٢) ادوارد سعيد ص ١٤٦ ، ٢٢١ – A. Hourani, PP. 43 - 48

(٣) مجلة المورد الصادرة عن المجمع العلمى بدمشق عدد ٢١ ، ١٩٧٥ ص١٧٦، عن الدكتورر صالح البنداق، المستشرقون وترجمة القرآن الكريم، ط دار الآفاق.

الاسلام، ولقد كان المستشرق الوحيد ٧الذى يمثل رمزاً للاستشراق كله فى وقته . ويذكر حورانى كذلك: أن هذا المستشرق الكبير كانت له فى شبابه اتصالات سيئة السمعة بسلطات الاستعمار؛ مثل معظم المستشرقين فى جيله: << In his earlier years, he had bad connections,like most of his generation, with the Imperial mission of France>>. ويحكى ماسنيون عن نفسه أنه قد اعتقل سنة ١٩٠٨م فى بغداد بتهمة التجسس ضد الدولة العثمانية، وهدد بالحكم عليه بالاعدام؛ وأنه حاول الانتحار. لكنه فى أخريات حياته انتقد الاستعمار الفرنسى وسياسته الرامية إلى الجموح الدنيوى المادى... إلى الفهم .. وإلى الغزو .. وإلى التملك. << Our secular rage to Understand, to Conquer, to Posses(1) >>

وفى مقال للمستشرق الفرنسى وزير الخارجية (هانوتو) ت ١٩٤٤م بعنوان :" قد أصبحنا اليوم إزاء الاسلام والمسألة الاسلامية) يكشف فيه بوضوح عن مقترحاته لتوجيه سياسة فرنسا فى مستعمراتها الإفريقية الاسلامية، وما تهدف إليه هذه المقترحات من إضعاف المسلمين فى عقيدتهم حتى يسهل قيادهم(2). هذا ومن المستشرقين الذين شغلوا مناصب فى وزارات المستعمرات والخارجية الغربية إلى جانب دى ساس وماسنيون، جب، ونيكلسون، ومرجليوث، وجويدى، ونيللينو، وبرنارد لويس، وماكس ميلر، وروث بنيدكت وغيرهم.(٣)

(١) Dr. Albert H., Islam in European Thought, PP. 43-48

وانظر المقالة المفصلة التى كتبها الأستاذ الدكتور عبد الرحمن بدوى فى كتابه (شخصيات قلقة فى الاسلام) بعنوان (لويس ماسينون حياته وابحاثه) وهو من أهم ما كتب عن ماسينون بالعربية، وانظر بحث R. Casper بعنوان: اتجاهات معاصرة فى دراسة التصوف الاسلامى، فى كتابنا عن التصوف .

(٢) د. مدكور ص١٥٩ د. البهى ص ٣٠ (٣) د. زقزوق ص١٦

وفى أوائل هذا القرن العشرين كان اللورد كيرزن Curzon من أشد المتحمسين فى إنجلترا لفكرة انشاء مدرسة للدراسات الشرقية باعتبارها تعد جزءًا ضرورياً من أسس الأمبراطورية ، كما أنها تعمل على الاحتفاظ بالموقع الذى نالته بريطانيا فى الشرق... وقد تحولت إلى مدرسة جامعة لندن للدراسات الشرقية والإفريقية فيما بعد.

ومعروف أن رجال السياسة فى الغرب على صلة وثيقة بأساتذة هذه الكليات الاستشراقية، وإلى آرائهم يرجعون قبل أن يتخذوا القرارات الهامة فى الشئون السياسية الخاصة بالأمم العربية والاسلامية. ويذكر الدكتور إبراهيم اللبان أنه سمع أحد المستشرقين يتحدث أمامه فيذكر أن (مستر إيدن) كان قبل أن يضع قراراً سياسياً فى شئون الشرق الأوسط يجمع المستشرقين ويستمع إلى آرائهم، ثم يقرر ما يقرر فى ضوء ما يسمعه منهم، هذا إلى جانب أن بعضهم كان يؤسس صلات صداقة بالبارزين من رجال الأمة العربية، ويتخذ من هذه الصلات ستاراً يقوم من ورائه بأعمال التجسس فى أثناء الحرب.(١)

كانت العلاقات إذن عميقة بين المؤسسة الاستعمارية والمؤسسة الاستشراقية ....، فقد كان الاستشراق بمثابة الدليل للاستعمار فى ربوع العالم الاسلامى؛ بغرض فرض السيطرة الغربية عليه وإخضاعه وإذلال أهله .. وقد عمل الاستشراق ـ قبل فرض هذه السيطرة بالفعل ـ على اضفاء طابع التبرير العقلى والخلقى للسيادة الاستعمارية، ثم اتجه بعد أن تمت هذه السيطرة إلى خنق روح المقاومة فى نفوس

---

(١) د. إبراهيم اللبان "المستشرقون والاسلام" ص١٨ عن الدكتور زقزوق ص٤٧

المسلمين والعمل على تشكيكهم فى عقيدتهم وتراثهم، وإشعارهم بالتدنى والانحطاط والإفتقار؛ حتى يتمكن الاستعمار من طمس الهوية الذاتية الاسلامية، وإخضاع المسلمين نهائيا وكليا للثقافة والحضارة الغربية.

وغاية ما يقال هو أن أفكار بعض المستشرقين والمستعمرين كانت تسير فى طريق واحد .. هو طريق العمل على إضعاف القيم الاسلامية، عن طريق شرح تعاليم الاسلام ومبادئه شرحاً يضعف فى المسلم تمسكه بالاسلام، ويقوى فى نفسه الشك فيه كدين، أو على الأقل كمنهج سلوكى يتفق وطبيعة الانسان العصرية.. وهذا يكشف الروح الصليبية فى دراسة الاسلام سافرة رغم محاولة التخفى تحت عباءة البحث العلمى ودعاوى خدمة التراث الانسانى المشترك، وخدمة الأهداف والغايات الانسانية المشتركة.

إن الأفكار الاستشراقية والأهداف الاستعمارية تتلاقى وتتمازج وتنصهر معاً ؛ وعلى سبيل المثال فإن فكرة إبعاد الاسلام عن التأثير فى مجال العلاقات بين الأفراد فكرة استشراقية استعمارية.

ـ وإن فكرة توقيت الجهاد بعهد الرسول صلى الله عليه وسلم وعهد صحابته فحسب، أو فكرة إلغائه اليوم فكرة استشراقية استعمارية.

ـ وفكرة أن الظروف الدولية تدعو المسلم إلى الولاء لغير المسلم، وفكرة أن الاسلام ـ كدين ـ يتعدد بتعدد شعوبه وأجناسه، وبتعدد مصادره، وفكرة أن الاسلام دين فردى شخصى لا يصح أن يتدخل فى علاقات الناس والدول، كلها أفكار استشراقية استعمارية. وتأسيس مبدأ الاسلام فى عدم زواج المسلمة بغير المسلم على فكرة العنصرية، ومبدأ الجهاد فى سبيل الله على نزعة الميل إلى الاعتداء والغزو ...

ـ وأمثال ذلك هو كثير جداً ـ من صنع الاستعمار والاستشراق معاً.(١)

وقد عمل الغرب على ارسال رسله من المستشرقين ليبثوا هذه الأفكار ويقنعوا بها المسلمين عن طريق التدريس المباشر فى المدارس والمعاهد والجامعات التى أسست فى البلاد الاسلامية، وعن طريق البحوث والدراسات والمقالات والكتب التى تنشر، والمؤتمرات التى تعقد، وفى وسائل الإعلام المختلفة.. ولقد درس فى جامعة القاهرة فى بداية نشأتها عدد من المستشرقين، كان من بينهم على سبيل المثال لا الحصر كل من (ماسنيون) و (بريهيه) و (نيكلسون) و(الكونت دى جلارزا) و(جون آرثر أربرى) و (ليفى برفنسال) و(سانتلانا) و(اسرائيل ولفنسون) و(كارلونللينو) وغيرهم. وقد نجح المستشرقون ـ مع وسائل أخرى ـ فى صياغة عقول ووجدانات بعض الباحثين الذين حملوا أفكارهم وتحمسوا لها، وأشاعوها، وربوا المريدين والتلاميذ على نشرها والاستماتة فى الدفاع عنها.

أعتقد أن أمر العلاقة الوثيقة بين الاستشراق والتبشير منذ النشأة الأولى، ثم بين الاستشراق والاستعمار ـ إبان الانطلاقة الكبرى فى الأنشطة الاستشراقية ـ أضحت بينة جلية موثقة بتواتر شهادات المستشرقين أنفسهم، وباستقراء واقع الحال كما يقال. وقد شكلت هذه

---

(١) قارن الدكتور البهى ص٥٢ ، ٥٣٤ ، د. زقزوق ص١٨ ، ادوارد سعيد ص٦٨ ، ٧٠ والدكتور عبد الحميد مدكور ص١٦٠ ـ ١٦٢ والدكتور غراب : الاستشراق (رؤية اسلامية) ، نشرة أكسفورد .

الدوافع الأساسية مناهجهم التى سلكوها، وأثرت فى القضايا التى طرحوها، والمقدمات التى رتبوها، وأخيراً على النتائج التى أرادوها واستخلصوها. ويسترعى ادوارد سعيد النظر إلى أن هذه العلاقة لم تنته بعد، بل كل ما هنالك أن المجال لم يعد حكراً على المستشرقين، بل ينافسهم فيه اليوم نظم وشركات ومصالح ومؤسسات تعليمية وتبشيرية ومراكز ومعاهد ومنظمات إلخ وهي جميعا مكرسة لتأكيد شرعية عدد من الأفكار الأساسية غير المتغيرة حول الاسلام والشرق وعلاقته بالغرب. وتسهم هذه جميعاً فى تشويه صورة الشرق - والعرب خاصة - فى أوربا وأمريكا، وتظهرهم فى صورة بشعة يتصفون فيها بالخيانة والسادية والمتاجرة فى الرقيق، وأن العربى وغد لئيم، شهوانى خبيث، عدوانى إرهابى .. إلخ(١)

---

(١) Edward Said, Orientalism, PP. 286 - 288

موقف المستشرقين من القرآن الكريم

موقف المستشرقين من القرآن الكريم

معروف أن أول ترجمة غربية للقرآن الكريم كانت إلى اللغة اللاتينية، وقد تمت بإشراف رئيس دير كلوني Cluny الراهب بطرس المحترم سنة ١١٤٣م، ومعروف أن الكنيسة قد حاربت هذه الترجمة اللاتينية ـ رغم ما فيها من نقص وتشويه متعمد ـ لأنها خشيت أن تعرف الأوربيين بعض الحقائق عن الاسلام؛ وهذا يضعف مقاومتها للاسلام .. وقد أخفيت هذه الترجمة فى دير كلونى بجنوب فرنسا إلى سنة ١٥٤٣م حيث أظهرت، وطبعها لأول مرة تيودور بيلياندر، ثم اعتمدت على أنها الأساس الذى يترجم عنه إلى اللغات الأوربية.

ثم عاودت الكنيسة تضييقها على هذه الترجمة، وأمر البابا (بولس الثالث) باتلاف الترجمة التى نقل عنها (باجانينى) .. ولم تصرح الكنيسة بطبع ترجمة للقرآن إلا فى عهد البابا (الكسندر السابع) ١٥٥٥ ـ ١٥٦٧م(١) . وما يذكر هنا أنه رغم ركاكة هذه الترجمات،

---

(١) د. صالح البنداق، مرجع سابق ص٩٥ وما بعدها. ومعروف أن السريان قد ترجموا بعض آيات القرآن فى بعض مؤلفاتهم، منها : ماكتبه (بار الصليبى) الذى كان معاصرًا للحجاج، ومنها بعض المؤلفات التى تعود إلى خلافة هشام بن عبد الملك، كما أن (ابن الصليبى مطران ديار بكر) قد نقل آيات كثيرة من القرآن الكريم فى كتاب جدلى من ثلاثين فصلاً (كتاب الجدل) وهو مخطوط فى بطريركية السريان فى بيروت. ويذكر فيليب دى طرزى فى دراسة له عن القرآن نشرت فى مجلة المجتمع العلمى بدمشق ص٤١٦ ـ ٤٨٨ سنة ١٣٦٣ ـ ١٩٤٣م أنه قد أطلع على ترجمة كاملة للقرآن الكريم إلى السريانية قام بها تخميناً ـ باسيل مطران الرها قبل سنة ٦٤٢ هـ. كل هذا قد أسهم فى تشكيل معابر لنقل صورة ما عن القرآن الكريم إلى الغربيين.

وبعد أصحابها عن الأمانة العلمية، وتصرفهم فى النصوص، وتحريف الكلم عن مواضعه، والقصور الفاضح فى فقه اللغة العربية والجهل بأسرارها، نجد هؤلاء المستشرقين المبشرين يجيزون لأنفسهم إصدار أحكام على لغة القرآن وأسلوبه وبيانه ومعانيه.

لم يقف المستشرقون عند هذا الحد، لكنهم شككوا فى مصدر القرآن الكريم، وقدحوا فى صحته، ورموه بالتناقص والاضطراب والتحريف، ثم تكلموا فى تفسيره، وزادوا ونقصوا ورجحوا وافتعلوا، ومن الغريب أنهم - مع ذلك - حذروا الغرب من خطورة هذا القرآن على مصالحهم وديانتهم، لأنه قادر على بعث النهضة الإسلامية الشاملة والوحدة الرائعة، والعزة والمنعة بين المسلمين .

مصدر القرآن

بذل المستشرقون جهوداً مضنية فى محاولة إثبات أن مصدر القرآن لم يكن الوحى، وأنه من تأليف محمد صلى الله عليه وسلم، وأنه - صلى الله عليه وسلم - قد لفق مادة القرآن من عناصر الثقافة السائدة فى البيئة العربية وقتئذ. كما أفاد من كتب اليهود والنصارى، واستعان برهبان النصارى وأحبار اليهود فى تأليفه أو تلفيقه.

يحدد المستشرق الألمانى J. Fueck فى بحث متميز، على حد تعبير المستشرق الفرنسى M. Rodinson(١) طبيعة المشكلة قائلاً : "على كل حال لقد أصبح النظر فى عدم أصالة الاسلام واعتماده على الأديان

---

(١)M. Rodinson: A Critical Survey of Modern Studies on Muhammad P.62(هامش ١٥)

السابقة موضة (Vougue) بين عموم المستشرقين ..(١)

ويقول يوهان فوك: "لقد فقدت دراسات المستشرقين الكبار صلتها بأفكار القرآن المتميزة والرصينية، وارتضت باجترار البحث في تبعية كل جزئية قرآنية ـ بصرف النظر عن كونها فكرة دينية، أو تعبيراً، أو مصطلحاً، أو حقيقة تشريعية، أو قصة، أو موضوعاً، أو كلمة مفردة، أو أنماطاً متنوعة من التراكيب ـ وارجاعها إلى مصادرها فى الأديان السابقة، كلما كان ذلك ممكناً؛ بهدف شطر الصورة الحية المتكاملة للرسول والقرآن إلى ألف نتفة وجذاذة "

ولقد اعترض المستشرق السويدى Tor Andrae على هذا الاتجاه الاستشراقى المتشكك فى أصالة القرآن، وقال فى سخرية لاذعة : " كأن المهمة الكبرى للمستشرقين الدارسين لشخص الرسول؛ هي محاولة فهم كيف أن الرسول ـ بتأثير روح البيئة المحيطة ـ قد لفق أو زور (Forged) أشتاتاً عديدة شديدة التنافر فى كل واحد، هو القران(٢)

ويؤكد J. Fueck على الأثر السلبى للمستشرقين فيما يتعلق بهذا الموضوع على تصور الغرب للاسلام وكتابه ورسوله قائلا: "لقد صبغ الجدل المضاد للاسلام ـ فى الغرب ـ صورة محمد بلون حالك السواد، ولقد طغت أحكامهم على المجال كله، ولقد أضاف مستشرقو القرن التاسع عشر لحنا جديداً إلى عزف هذه الجوقة، وذلك بتأكيدهم على تبعية الرسول محمد واعتماده على الأديان السابقة الموحى بها ".

---

(١) J. Fueck, The originality of the Arabian Prophet, PP. 86 - 89 Oxford Univ. Press, 1981

(٢) Tor Andrae, Muhammad the Man and his Faith, New York, 1936

ثم يشرح J. Fueck جهود مستشرقين فى هذا الصدد هما (W. Ahrrens) و(C.C. Torry) قائلاً: "... بالرغم من ذلك فإنهما قد رجعا إلى الطريق الاستشراقى القديم لانتقاص أصالة الرسول بكل سبيل ممكن من أساليب المجادلة والاستنباط، عازمين على إرجاع المبادئ الاسلامية بشكل كلى إلى الأديان التوحيدية السابقة، سواءً أكانت يهودية أم نصرانيـة. ولقد راى Torrey أن محمداً لم يكن أكثر من تلميذ أو حوارى فى المجمع اليهودى Synagogue.

أما Ahrrens فقد كان مقتنعا تماما بأن التأثير النصرانى كان طاغيا على محمد، وأن محمداً كان نتاجاً للتأثيرات التى تجمعت عليه، وقد خضع محمد للتأثير النصرانى عليه منذ البداية، وطوال الفترة المكية من الرسالة وما بعدها. ثم وافق على ترتيب "تولدكه" للقرآن طبقاً لنزوله، وليس طبقاً لما هو موجود فى المصحف اليوم.

يقول (فوك) عن أهرينز) "إن موقفه كمجادل مسيحى ـ ينساق وراء رد الفعل الغاضب مرة والآسف مرة أخرى ـ ظاهر بوضوح".

ولقد أثار كلاهما (Torrey) و(Ahrrens) مسألة غريبة؛ هي أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد غير بعد هجرته إلى المدينة ما قد بشر به فى مكة، وأنه بهذا غير مبادئه، ويفسر (Torrey) ذلك بأنه أنانية، لايفهم حقيقة أسبابها،(١) أما (Ahrrens) فيرى أن ذلك كان انتهازية سياسية تسمح بالحل الوسط من أجل المطامح الدنيوية"(٢)

ويؤكد (فوك) رأيه قائلاً :" هذه المحاولات تريد أن تمزق القرآن ـ

---

(١) C.C. Torrey, The Jewish Foundation of Islam, New York , 1933

(٢) K. Ahrrens, "Christishes in Quran" ZDMG 84, 1930

فيما يتعلق بأصوله ومصادره ـــ إلى عدد لا حصر له من أحجار الموزايكو الصغيرة والتى لا توجد رابطة داخلية تجمعها أبداً ..." ثم يناقش هذه المحاولات واحدة تلو الأخرى فى بحث متميز كما وصفه مكسيم رودنسون.

ويلقى M. Rodinson بعض الضوء على هذه القضية قائلاً:" قد اهتم المستشرقون فى هذه الفترة ببحث مسألة التأثيرات (الواقعة على الاسلام من الديانات السابقة) ... وتلك الدراسات التى أكدت على التأثير المسيحى على الاسلام، كانت منساقة وراء الدراسات التى أكدت على التأثير اليهودى على الاسلام، التى بدأها الحاخام اليهودى المستشرق Rabbi Abraham Geiger وقد استمر هذا الاتجاه على يد C.C. Torrey وآخرين .. كما خصصت دراسات مهمة لدراسة الأثر اليهودى المسيحى على القرآن فى القصص والمفاهيم. والدراسات من هذا القبيل فى غاية الأهمية والضرورة، لأن الاسلام لم يولد فى أنبوب مغلق .. فى بيئة معقمة ضد جراثيم الأيديولوجيات المعاصرة له ، كما يتخيل ذلك المؤلفون المسلمون ، وآخرون معينون.

ولقد أخذت هذه البحوث تترى، متجاهلة تماماً التعريف بأصالة الاسلام .(١) والأمر الذى لا جدال فيه أن دراسة التأثيرات الأجنبية على الاسلام لا تفسر بشكل تام نشأة هذا الدين ولا ديناميته الخاصة به ... وبعد كل ذلك فإن محمداً لم يصبح يهودياً ولا نصرانياً "(٢)

---

(١) ما عدا بحثين للمستشرقين J. Fueck و Von Grunebaum تناولا فيهما أصالة القرآن وانتقدا التيار الاستشراقى العام الرامى إلى سلب القرآن أصالته.

(٢) Maxime Rodinson, p. 25 مرجع سابق

ويشير رودنسون إلى تواضع المستشرقين اليهود والنصارى على جعل مصادر الاسلام فى اليهودية والنصرانية.(١)

"While recognizing the extensive nature of Jewish Influence, come to the conclusion that it was Christianity that was the decisive factor in the Rise of Islam" P.61

والغريب أن هؤلاء المستشرقين قد رددوا افتراءات مشركى مكة التى تخرصوا بها من قبل؛ وقد زعموا أن القرآن: ﴿ إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون ﴾(٢) وأنه: ﴿ أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً ﴾(٣)، وأنه: قول ساحر أو كاهن،(٤) أى أن القرآن ليس وحياً أنزله الله على محمد، وأن محمداً لم يكن رسولاً من عند الله.

وتأمل ما تخرص به (جورج سيل George Sale) فى مقدمة ترجمته الإنجليزية لمعانى القرآن الكريم التى صدرت عام ١٧٣٦م: "أما أن محمداً كان فى الحقيقة مؤلف القرآن والمخترع الرئيسى له فأمر لا يقبل الجدل، وإن كان من المرجح - مع ذلك - أن المعاونة التى حصل عليها من غيره، فى خطته هذه، لم تكن معاونة يسيرة ... وهذا واضح فى أن مواطنيه لم يتركوا الاعتراض عليه بذلك".(٥)

---

(١) P. 61 :

(٢) سورة الفرقان ٤،

(٣) سورة الفرقان ٥

(٤) الحاقة ٤١ - ٤٢

(٥)د. زقزوق، ود. قاسم السامرائى، وا.د. صالح البنداق،د.التهامى النقرة و د. حورانى .

وقد صادفت هذه المقدمة التمهيدية للترجمة التى جزم فيها (جورج سيل) بتأليف محمد للقرآن نجاحاً عظيما فى أوربا؛ الأمر الذى أدى بمستشرق آخر هو (كاسمير سكى) أن يتخذ من مقدمة (سيل) نفس مقدمة ترجمته الفرنسية لمعانى القرآن الكريم التى صدرت عام ١٨٤١. وقد بقيت هذه المقدمة مصدراً موثوقاً للمستشرقين يتوارثون مزاعمها، ويلوكون افتراءاتها دونما نقد أو تمحيص.

فى الواقع، إن المستشرقين أجهدوا أنفسهم فى البحث عن مصدر مزعوم للقرآن الكريم، فقال إبراهام جيجر (Abraham Geiger) : ان محمداً قد أطلع على كتب اليهود بالعربية والآرامية. (١)

وقال ريتشارد بل R. Bell مترجم معانى القرآن : أن النبى صلى الله عليه وسلم قد اعتمد فى كتابه على الكتاب المقدس (أسفار العهد القديم) (Old Testament) فى قسم القصص؛ فبعض قصص العقاب مثل قصص عاد وثمود، مستمد من مصادر عربيةٍ، ولكن الجانب الأكبر من المادة التى استعملها محمد ليفسر تعاليمه ويدعمها، قد استمده من مصادر يهودية ونصرانية ... وقد كانت فرصته فى المدينة للتعرف على ما فى العهد القديم أفضل من وضعه السابق فى مكة؛ حيث كان على اتصال بالجاليات اليهودية فى المدينة، وعن طريقها حصل على قسط غير قليل من المعرفة بكتب موسى على الأقل.(٢)

---

(١) Translated into English under the title "Judaism and Islam" Madrass, 1898 وله كتاب : " The Jewish Foundation of Islam " .

(٢) R. Bell, The Quran, Translated with a Critical Rearrangement of the Surahs, Edinburgh ۶ - 1937 .

ولو راجعنا قائمة الكتب والبحوث التى أصدرها المستشرقون عن القرآن ، لرأينا على سبيل المثال ـ العناوين التالية، وهي كافية لإبراز هذا الاتجاه الاستشراقى العدوانى تجاه القرآن الكريم.

ـ راهب بحيرا والقرآن : كراديفو ١٨٩٨م .

ـ السامريون فى القرآن : جوزيف هاليفى ١٩٠٨م .

ـ ترجمة القرآن وفقاً لترتيب نزول الآيات تاريخيا؛ روديل ١٨٧٦م .

ـ أسماء الله الحسنى ومصادرها الشرقية فى القرآن؛ السيرادوين أرنولد ١٨٨٤م .

ـ التوراة فى القرآن : فايل ١٨٣٥م .

ـ بحوث جديدة فى ترتيب القرآن الكريم وتفسيره، هير شفيلد ١٩٠٢م .

ـ عيسى فى القرآن : جروهمان ١٩١٤م .

ـ النصرانية واليهودية فى القرآن : بو مشتارك ١٩٥٣م .

ـ الألفاظ الأجنبية فى القرآن : جيفرى ١٩٣٨م .

ـ عناصر نصرانية فى القرآن : أرنيز ١٩٣٥م .

ـ القصص الكتابى فى القرآن : شباير ، ١٩٣٩م

ـ محمد والقرآن : واختندونك ، ١٩٦٩ .

ـ القرآن : الانجيل المحمدى : سترستين ١٩١٨م .

ـ من أبرز من أشتهر بدراسة القرآن وعلومه من المستشرقين: (نولدكه) و(بلاشير) و(جيفرى) و(جولدزيهر) و(أربرى)

ولقد تعمد أكثرهم إنكار المصدر الإلهى للوحى، وقالوا إنه من تأليف محمد أو من تلفيقه. ولقد أظهروا جهلاً فاضحاً بحقيقة الوحى

خارج الطرق الكسبية للعلم، وفوق الإلهامات النفسية الذاتية، وخلاف ما هو مقرر فى علم النفس وسير الأبطال والعظماء، وبعيداً عن الأعراض الباثولوجية التى تصاب بها أفذاذ الرجال كما يزعم (جولدزيهر)، وعن الهوس أوالجنون الذى يضرب بنوباته قادة الأمم العظام كما يذكر (جوستاف لوبون)(١) أو اللاوعى الجمعى كما يرى وليام منتجمرى واط .

أما (إجناس جولدزيهر) فينسب المعرفة الدينية التى تلقاها محمد إلى عنصرين: داخلى وخارجى، يقول: "... تبشير النبى العربى ليس إلا مزيجا منتخبا من معارف وآراء دينية عرفها بفضل اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية التى تأثر بها تأثراً عميقاً ، والتى رآها جديرة بأن توقظ فى بنى وطنه عاطفة دينية صادقة، وهذه التعاليم التى أخذها عن تلك العناصر الأجنبية كانت فى وجدانه ـ ضرورية لاقرار لون من الحياة فى اتجاه يريده الله ..، لقد تأثر بهذه الأفكار ـ تأثراً وصل إلى أعماق نفسه، وأدركها بايحاء قوة التأثيرات الخارجية، فصارت عقيدة انطوى عليها قلبه، كما صار يعتبر هذه التعاليم وحياً إلهياً"(٢)

ويصف الدكتور ألبرت حورانى أجناس جولدزيهر بقوله : " ولربما كان المستشرق اليهودى المجرى إجناس جولدزيهر أعظم وأهم مستشرق أسهم فى تكوين التصور الاستشراقى الغربى عن الاسلام

---

(١) انظر بحث التهامى النقرة فى كتاب (مناهج المستشرقين فى الدراسات الاسلامية) ج١ ص٣١، نشر مكتب التربية العربى لدول الخليج

(٢) العقيدة و الشريعة فى الاسلام ، ترجمة ج. محمد يوسف موسى وزميله، ص١٢، ١٩٤٨م.

وتطوره وطبيعته كنظام دينى وثقافى".(١)

ويتحدث بلاشير عن مصدر القصص القرآنى مشيراً إلى أن الأمر اللافت للنظر هو التشابه الحاصل بينه وبين هذا القصص اليهودى والمسيحى. ويرى أن التأثير المسيحى كان واضحاً فى السور المكية الأول، إذ أن كثيرا ما تكشف مقارنته بالنصوص غير الرسمية (كإنجيل الطفولة)(٢)الذى كان سائداً فى ذلك العهد عن شبه قوى، ويعرض فى هذا الصدد آراء بعض الباحثين، مؤكداً رأيه فيما كان من علاقات وروابط بين مؤسس الاسلام والفقراء المسيحيين بمكة. وهذا يعنى - فى التحليل الأخير - أن مصدر القرآن و السنة هو الرسول، صلى الله عليه وسلم.(٣)

وإنا لنعجب مع الدكتور التهامى النقرة ونقول: لعل أول ما يبعث على التساؤل حول هذه الأفكار الرائجة فى أوساط المستشرقين،

Albert Hourani , Islam in European Thought , P 36(1)

(٢) النصوص غير الرسمية هي التى اعتمدها مشايخهم بعد جدل وأخذ ورد فى مجمع نيقية وما تلاه من مجامع، ويطلق عليها (العهد الجديد ـ New Testament)وهنالك عشرات الأناجيل والرسائل التى كانت متداولة ومنتشرة قبل سنة ٣٢٥م لكن الكنيسة حرمتها وحظرت تداولها، وأمرت باحراقها وتشددت فى تعقب من يقرأ فى أى منها ... وقد اكتشف العلماء مؤخراً مجموعات من مخطوطات ولفائف تضم تلك الأناجيل والرسائل، منها مجموعة لفائف نجع حمادى فى صعيد مصر، والبهنسا، ومجموعة (Revealed Secret Says of Jesuse, Lost Booksof Bible, (Eden) أنظر لنا كتاب (فى مقارنة الأديان) نشرة ١٩٨٦م

(٣) Blachere: the Problem of Muhammed, P. 60 , 1952

والغربيين عموماً أن القرآن والحديث لو كان مصدرهما هو محمد، فبم يفسرون ذلك الفرق الكبير والبون الشاسع بين القرآن الكريم والحديث فى الصياغة وأسلوب العرض وطريقة الأداء ومنهج التعبير ؟!!(١)

ومن الخيال المريض الذى يؤدى إليه سوء الطوية وفساد الفطرة، ما زعمه المستشرق (كليمان هوار Hauar) من أنه وجد مصدراً جديدا للقرآن - غير ما ذكره أقرانه - هو شعر أمية بن أبى الصلت (شاعر مخضرم كان يبشر بقرب ظهور نبى جديد، ولما بعث محمد صلى الله عليه وسلم كفر به حسداً من عند نفسه، وقال عنه الرسول صلى الله عليه وسلم: آمن لسانه وكفر قلبه) (٢). قارن المستشرق (هوار) بين شعر أمية وآيات من القرآن الكريم، محاولاً أن يثبت فريته.. ومما يجدر ذكره أن الدكتور طه حسين قد رد على المستشرقين ثقتهم المطلقة فى شعر أمية وتشككهم فى القرآن الكريم؛ فقال: "والغريب فى أمر المستشرقين - فى هذا الموضوع وأمثاله - أنهم يشكون فى صحة السيرة النبوية نفسها، ويتجاوز بعضهم الشك إلى الجحود؛ فلا يرونها مصدراً تاريخيا صحيحاً، وإنما هي عندهم - كما ينبغى أن تكون عند العلماء جميعاً - طائفة من الأخبار والأحاديث تحتاج إلى التحقيق والبحث العلمى الدقيق، ليمتاز صحيحها من منحولها.. هم يقفون هذا الموقف العلمى من السيرة، ويغلون فى هذا الموقف، ولكنهم يقفون من أمية وشعره موقف المتيقن المطمئن، مع أن أخبار أمية ليست أدنى إلى

---

(١) التهامى النقرة ، ص ٣٢

(٢) ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ص٤٢٩ مصر ١٣٦٤هـ.

الصدق ، ولا أبلغ فى الصحة من أخبار السيرة. فما سر هذا الاطمئنان الغريب إلى نحو من الأخبار دون الآخر؟ أيكون المستشرقون أنفسهم لم يبرؤوا من هذا التعصب الذى يرمون به الباحثين من أصحاب الديانات؟!(١)

وعن التأثير النصرانى المزعوم فى القرآن الكريم يذكر المستشرق (رودى بارت) :"لقد كانت معلومات الناس فى مكة ـ فى عصر محمد ـ عن النصرانية محدودة وناقصة، ولم يكن النصارى العرب سائرين فى معتقداتهم فى الاتجاه الصحيح، ولهذا كان هناك مجال لظهور الآراء البدعية المنحرفة ولولا ذلك لما كان محمد على علم بأمثل تلك الآراء التى تنكر صلب المسيح، وتذهب إلى أن نظرية التثليث النصرانية لا تعنى: الأب والابن وروح القدس، وإنما تعنى: الله وعيسى ومريم. وعلى أية حال فإن المعارف التى استطاع محمد أن يجمعها عن حياة المسيح وأثره كانت قليلة ومحدودة، بيد أنه كان محمد يعرف الشيئ الكثير عن ميلاد عيسى وعن أمه مريم. وما يقصده (بارت) ـ فيما يرى الدكتور زقزوق ـ واضح، هو أن المعلومات التى وردت فى القرآن عن النصرانية وعن المسيح وأمه، كانت المعلومات الشائعة آنذاك ، وهي إما خاطئة أو محدودة ، فمحمد إذن، هو مؤلف القرآن.(٢)

---

(١) طه حسين : فى الأدب الجاهلى ص١٤٣ القاهرة ١٩٥٨م .. وقد رأى بعضهم فى أبيات منحوله لامرئ القيس مصدراً آخر من مصادر القرآن بزعمهم. وقد ناقش الأستاذ العقاد هذا التخرص ودحضه فى (إسلاميات) العقاد ص٥١ ـ ٥٣ ط الشعب.

(٢) الاسلام فى الفكر الغربى ص٦٧ ـ ٦٨ ، الاستشراق ص٨٥ للدكتور زقزوق.

ومما يجدر ذكره أن الفكرة الغربية عن الاسلام والقرآن معاً، وأنهما تلفيق وتزوير للتوراد والانجيل وأن عملية التلفيق هذه قد تمت بمعاونة راهب آريوسى كان يعلم محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ سراً ... إن هذه الفكرة قد بثها القديس يوحنا الدمشقى، وسرعان ما انتشرت فى الغرب، وقد ربط بعض المستشرقين بين هذا الراهب وبين بحيرا، بعد أن ترجمت سيرة ابن اسحاق، فنسجوا حوله الأساطير، وحول علاقته السرية المزعومة بالرسول الكريم (١)

---

(١) شكل نصارى اليونان والعرب الذين عاشوا فى ظل الدولة الاسلامية، فى سوريا ومصر والعراق وغيرها ـ رافداً مهماً فى صياغة الرؤية الغربية المبكرة للاسلام والقرآن... وقد تسنم بعض هؤلاء مناصب عالية فى الدولة الاسلامية؛ مثل يوحنا الدمشقى وتلميذه تيودور أبو قرة ويحيى بن عدى وغيرهم.

وقد كان (يوحنا الدمشقى) خصوصاً و (عبد المسيح بن اسحاق الكندى) (المجهول النسبة) من أهم الذين ساعدوا على تشكيل وخلق بعض مفاهيم الغرب الأولى عن الاسلام. كتب (يوحنا الدمشقى) كتابه (Dialexis) وأراد أن يكون نوعاً من وسائل الجدل بين النصارى والمسلمين.. وكان (يوحنا) أول من استخدم علم الكلام فى أجوبته عن الأسئلة التى أثارها، فأحدث ما يسمى عند المبشرين "Dialogue" وقد صب هجوماً عنيفا على الرسول الكريم، واتهمه باختلاق الوحى لإشباع رغباته الدنيوية، فأصبح هذا الاتهام المحور التقليدى لجميع كتابات القرون الوسطى...، ومن كتابات (يوحنا) جاءت قصة زينب وزيد، فأفاض الخيال والحقد عليها ما شاءا من تفسيرات واستنباطات، فتضافر البغض والشنآن على نسج قصة دونها مغامرات الشعراء والرووائيين ... ومن (يوحنا) جاءت فكرة الغرب عن الاسلام والقرآن، وأنهما تزوير وتلفيق للتوراة والانجيل كما ذكرنا فى المتن، ولمزيد من التفاصيل حول يوحنا الدمشقى وأثره راجع المصادر التالية:

ـ الاستشراق للدكتور قاسم السامرائى ص٥٤، ـ الاستشراق للدكتور زقزوق،-----

يقول بيدرو باسكال: "لقد جاء فى كتب المسلمين أن راهبا مسيحيا اسمه كما يقولون هم: بحيرا، وهذا هو الذى حذر عم محمد من اليهود، وأن هذا الراهب المرتد هو الذى كان يتعلم منه محمد تعاليمه، وقد ذكروا فى كتبهم أيضا أن محمداً كان يعتزل الناس فى تلال مكة، وهذه تدل على أنه كان يعد عدته مع هذا الراهب النصرانى المرتد ـ فى السر ـ لتهيئة تفاصيل هذا التزوير".(١)

وقد اختلط (بحيرا) هذا، عند كثير من الكتاب بجريج الراهب أو جرجيوس، ومع هذا الاختلاط فإنه نال حظاً وافراً من الإهانة والتجريح الشائن عند بعضهم، والمديح والثناء من الآخرين، وكلا الفريقين برر موقفه .. فإن شاءوا جعلو منه قديساً وحبراً كاثوليكياً مخلصا علم محمداً الدين الصحيح، إلا أن محمداً حرف تعاليم الراهب. وإن شاءوا

ـــــــ جارديه الأب جورج قنواتى: فلسفة الفكر الدينى بين الاسلام والمسيحية ج٢ ص٣٢ ـ ٤٨ ـ د. عرفان عبد الحميد ص١١، ـ د. النشار: نشأة الفكر الفلسفى فى الاسلام، نجيب العقيقى: المستشرقون ج١ ص٧٢، ـ دى بور. تاريخ الفلسفة فى الاسلام. ص٨ هامش، توماس أرنولد. الدعوة إلى الاسلام ص١٠٣، الامام محمد أبو زهرة : تاريخ المذاهب الاسلامية ص ١٥٧ وله تاريخ الجدل كذلك .، ـ المؤرخ خريسو بابا دوبولوس: تاريخ كنيسة انطاكية ص ٥٥٦ ترجمه الأسقف استفان حداد، وانظر الكتاب الذى صدر فى الذكرى المئوية الثانية عشر لوفاة يوحنا الدمشقى (المطبعة اليسوعية ١٩٥٠)، وانظر الدكتور كمال اليازجى : يوحنا الدمشقى وآراؤه اللاهوتية ومسائل علم الكلام. منشورات النور، ١٩٨٤. ضحى الاسلام للأستاذ أحمد أمين، ـ وانظر بحثنا عن (يوحنا الدمشقى) فى كتابنا (مقارنة الأديان) ج ٢ .

(١) Islam and the West, P. 235

جعلوا منه مرتـداً يبطن اليهودية والزندقـة، ولذلك استعمل محمداً للحط من دين رومـا؛ حقداً وكرها للبابا.. وإن شاءوا جعلوه نسطورياً جاهلاً وزنديقاً معـاً.(١)

وقد تغلغل هذا الاتجاه العجيب فى العقلية الغربية إلى أبعد حـد، واقرأ إن شئت ما كتبه المؤرخ اليونانـى المعاصر (الدكتور خريسو بابادوبولوس) أستاذ التاريخ فى جامعة أثينـا(٢) فإنه يسأل:

ما هى العلاقة الشخصية الدينية لمحمد بالمسيحية والمسيحيين؟

ثـم يجيـب :

إن الرأى الذاهب إلى أن محمداً بعد أن صار مسيحيـاً انقاد إلى تأسيس مذهب خاص من أجل وحدة عربيـة لا يقوم عليه دليل. ولكنه بدون شك عندما ظهر كرسول لله ونبـي، وكان متدخلاً فى علائق مع المسيحيين وعارفا بالتعليم اليهودى والمسيحـى، ألف الديانة الجديدة من الأفكار الدينية القديمـة عند العرب، وخلطها مع عناصر التعليم اليهودى المسيحـى، قال القديس يوحنـا الدمشقـى حين سمع بالاسلام الجديد: الاسلام بدعـة مسيحيـة وإذا كان محمد مرتبطاً

---

(١) عن الدكتور قاسم ٥٥ ورغم تضخيم المستشرقين لأثر مقابلة بحيرا للرسول صلى الله عليه وسلم فى الشام، فإنه لا يوجد سند صحيح لتلك الروايـة ... ويذكر المستشرق (هوارت) بأنه لا تسمح النصوص العربية التـى عثر عليها، ونشرت، وبحثت منذ ذلك الوقت بأن ترى فى الدور المسند إلى هذا الراهب السورى إلا مجرد قصة من نسج الخيال .. (انظر للدكتور محمد عبد الله دواز: مدخل ص١٣٤ هامش (١)

(٢) تاريخ كنيسة أنطاكية، ترجمة الأسقف اسطفانوس حداد، نشر مكتبة النور، بيروت ص٥٢٦ ـ ٥٢٩ .

خصوصاً مع مسيحيى حمير: وعلى الأخص مع أهل مدينة نجران التى كانت فيها المسيحية مزدهرة ... وكان مسيحيو نجران وباقى المسيحيين العرب فى أكثريتهم (مونو فيزيت)، ولكن دخلت إليهم أفكار (بوليانس اليكارنسوس) ... وهذه قبلها محمد ـ فيما يتعلق بشخص يسوع المسيح، وصيغت هذه الأفكار فى الكتاب المقدس للديانة الجديدة ... وعرف محمد مؤسس الاسلام كثيراً من المسيحيين، ففى سن حداثته حين كان يأتى مع القوافل من مكة إلى سوريا مراراً ... وبعد ذلك وفى مكة نفسها، عندما تزوج بالأرملة الغنية خديجة، وكان قد ورث مسيحيا قبطيا عند ابن عمه علي، وعهد بصنع سقف الكعبة المقدسة إلى نجار مسيحى اسمه بخوميس (بقوم) حيث كان يوجد الحجر الأسود، ... ويذكر وجود تجار يونانيين فى مكة... وكان أحد مولى محمد الأولين مسيحياً اسمه سعيط بن سنان ... وكان بعض أفراد قريش مسيحيين... وكان أحدهم ورقة بن نوفل ... حتى قيل إنه كان كاهنـاً ... وكان عم خديجة امرأة محمد ... وكان ورقة يعرف اللغة اليونانية واللغة العبرية، وقد ترجم عدة أسفار من العهد القديم وقسماً من الانجيل... وكان له تأثير كبير على محمد... وجماع القول أنه كان يوجد عدد كبير من المسيحيين فى مكة ومدن أخرى من الجزيرة العربية، وكذلك كان يوجد يهود فى مكة، وعرف محمد قس بن ساعدة الشاعر والخطيب المعروف الذى كان أسقف مدينة نجران..."

لا ريب أن التعصب المقيت قد أعمى هؤلاء وأصمهم؛ إذ لو كان صحيحاً أن محمداً صلى الله عليه وسلم قد لفق القرآن والاسلام من

أشتات الثقافة والعقائد العربية، ومزج بينه وبين ما تعلمه عن اليهودية والنصرانية، لوجد اتفاق وتطابق، أو على الأقل توافق وانسجام فى العقائد والتشريعات والمعاملات والعبادات والأخلاق التى قررها وبين عقائد اليهود والنصارى ومشركى العرب والوثنية اليونانية والرومانية والهندية والبابلية والمصرية القديمة... وبما أن الاسلام قد جاء بعقيدة التوحيد الخالص التى تصادم تماماً العقيدة النصرانية، والتجسيم اليهودى، وكذلك الحال بالنسبة للعبادات والأخلاق والتشريعات فى المعاملات فقد جاءت مخالفة لها على الاجمال والتفصيل... فلا مجال إذاً لمثل هذه الدعوى المتهافتة الساقطة(١)

---

(١) أما ما رأيناه من استمداد اليهودية والنصرانية من الوثنية القديمة ومن الفلسفات الإغريقية والرومانية، ومن العقائد والطقوس الوثنية المنتشرة فى مصر والامبراطورية الرومانية وسوريا وبابل وغيرها، فهو صحيح للاتفاق التام والانسجام الدقيق بين ما جاء فى هاتين الديانتين، وتلك الفلسفات والعقائد الوثنية، ولجلاء علمائهم قد أقروا بهذه الحقيقة الناصعة انظر فى ذلك على سبيل المثال:

- شارل جنبير أستاذ تاريخ الأديان فى جامعة باريس: (نشأة المسيحية وتطورها) ترجمة الامام عبد الحليم محمود، نشرة دار المعارف.

- العلامة جيمس فريزر: (الفلكلور فى العهد القديم) ترجمة د. نبيلة إبراهيم، دار المعارف

- المؤرخ ول ديورانت: (قيصر والمسيح) فى قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران

Judaism and Hellenism, By Hengel, Scmpress, London, 1974

The Myth of God Incarnate, Edited by John Hick, Scm, 1985 - العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية، الطاهر التنير البيروتى، بتحقيقنا وتعليقنا، نشر دار الصحوة. وانظر بحثنا عن

كما أن مشركى العرب لم يوجهوا لمحمد صلى الله عليه وسلم تهمة استمداد القرآن من اليهود والنصارى، ولو رأوا شيئاً من ذلك ما قصروا فى التشنيع والتشغيب؛ لأنهم زعموا أن الذى يعلمه عبد رومى كان يصنع السيوف بمكة ولم يكن نصرانياً أو يهودياً، ودحض القرآن زعمهم، يقول تعالى: ﴿ ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر، لسان الذى يلحدون إليه أعجمى، وهذا لسان عربى مبين﴾(١)

هذا ولم يكن محمد ولا قوم محمد يعلمون شيئاً من هذه المعلومات التى قد يكون لها ذكر فى أسفار اليهود والنصارى، يقول عز من قائل: ﴿ تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولاقومك ﴾(٢) ، ﴿ ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون ﴾(٣)

﴿ ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون ﴾(٤)

وحتى لا نطيل فى هذا الأمر نقول: إن كثيراً من المستشرقين - متأثرين بدوافعهم الدينية والاستعمارية ... ومتجردين عن

------ هذه المسألة فى الجزء الثانى من كتابنا (فى مقارنة الأديان) وبحث تلميذنا وهيب البكرى عن بولس فى كلية الدعوة والاعلام بالرياض .

(١) سورة النحل ١٥٤

(٢) هود ٤٩

(٣) سورة يوسف ١٠٢

(٤) سورة آل عمران ٤٤

الموضوعية والحيدة والنزاهة العلمية، قالوا: أن مصدر القرآن لم يكن الوحى الإلهى ...، ومن ثم فهو وضع بشرى ألفه وزوره محمد صلى الله عليه وسلم من روافد يهودية ونصرانية، أو من أخلاط الثقافة السائدة، أو من شعر أمية وامرئ القيس ... إلخ

ومما يثير الأسف حقاً، أن أمثال هؤلاء المستشرقين قد أسهموا بمثل هذه المفتريات إسهاماً فاعلاً فى تشكيل العقل الغربى، وصياغة الشعور الغربى وإثارته وتعبئته ضد الاسلام والقرآن؛ مما تسبب فى حرمان معظم الغربيين من نعمة النظر الحر، والتدبر الصادق...، ورؤية الحق فيما يتعلق بالاسلام دونما تأثر بهذه الموروثات الثقيلة

وننقل فى هذا السياق اقتباسات من كتب بعض المستشرقين المعاصرين البارزين بألفاظها وحروفها؛ يسأل المستشرق اليهودى Goitein عن المصادر التى تعلم منها الرسول صلى الله عليه وسلم القرآن الكريم، ويذكر أن القرآن قد أشار فى أماكن عديدة إلى رجال كانوا يعلمون الرسول صلى الله عليه وسلم فمن هؤلاء المعلمون، ولماذا يبقى من الصعب جداً أن نجد حلاً لهذه المشكلة، ويذكر أسباباً لذلك منها :

أن القرآن يحتوى على نصوص وأفكار كثيرة يمكن أن يكون قد قلد فيها اليهود أو المسيحية...، كما أن موسى وقصته قد ذكرا فى القرآن أكثر من مائة مرة بينما ذكر عيسى أربع مرات فقط فى الفترة المكية من الرسالة (انظر كلامه فى الحاشية)(١)

---

(١) S.D. Goitein, Jews and Arabs: Their Contacts Through the Ages, New York 1955, PP. 52 - 58 : يقول جويتين :

" All this leads us to the great question: which religion or =====

ويلخص المستشرق Goitein مسألة أصل الاسلام قائلاً: "إنه من صميم

---

wich sect served Muhammad as his immediate model or, since the Koran alludes in various places to persons who instructed the Prophet, who were these teachers? Why is it so difficult to find a solution to this problem?

The main reasons are :

The Koran contains a huge mass of material which can traced to both Jewish and Christian sources . This is true only of biblical and apocryphal literature with which Muhammad might have been acquainted through Jewish and Christian channels but it also holds good for elements from the Jewish liturgy and lore which had found their way into Christian circles very early.

Moses is the predominant figure in the Koran. I would not like to too much emphasis on the quantitative aspect although lay it is impressive enough; compared to Jesus who is mentioned only four times in the Koran during the Maccan, that is, the formative period of Muhammad's career, Moses', name occurs there more than a hundred times. Much more important is the fact that the stories about Moses are not confined to certain chapters, but prevade the whole Koran and the idea of Moses, the Prophet with a Book, possessed Muhammad to such and extend that he immediately proceeded to produce a divine book of his own.

لحـــم وعظم اليهوديـــــة(١) : "Islam,however,is from the very flesh and bone of Judaism"

========= Although the general trend of Muhammad's ascetic, piestic religiousity with its dominant note of dread of the iminent Day of Judgment seems to be more akin to Christian monastic piety than to rabbinic Judaism, the way out of the difficulty created by this apparently contradictory evidence, seems, to be the simple assumption that the group of Jews who, we may suppose influenced Muhammad's beginnings, although they were basically ordinary Orthodox Jews, had themselves come under the influence of monastic piety and adopted some of its practices and also, some of its literature. To be sure, most, if not all of the ingredients of monastic piety which found their way into the Koran were already present in some form in early Judaism. Vigils are mentioned several times in the Book of Psalms and played a very important role in the life of the community of the Dead Sea Scrolls. In Talmudic times, however, study at night took the place of the nighly prayer. Prostrations were a characteristic feature of Jewish worship up to the second century. Later this practice was discouraged by the rabbis precisely because it was so conspicuously preached by the monks.

The solution I venture to propose for the question concerning the identity of Muhammad's mentors seems also to be the most plausible explanation of the undiluted and uncompromising attitude on ======

(١) المرجع السابق ص١٢٩

ولإثبات ذلك يعقد مقارنـة طويلة مفتعلـة بين الاسلام واليهوديـة(١)

=== monotheism maintained. This cannot be explained by his natural disposition or influence by monotheists of such desctiption-namely, Jews.

In conclusion, I wish to say this: Whether the solution I have proposed here for the problem of the origin of Islam accepted or not, one thing is beyond doubt: the battle which Muhammad so gloriously and so easily won over his Arab compatriots had been decided many centuries before on the hills of Judea."

(١) المرجع السابق ص٥٩ - ٦٠ ويقول جويتيين:

If, as we have seen, there is a very close connection between Muhammad's creation, the Koran and the religion of Israel, there is an even more amazing affinity between the fully developed systems of the two religions. A comparison between the rabbinical Judaism of the Talmud and the classical Islam of the orthodox jurists is extremely the main characteristic features of their systems are identical or almost identical.

Arabic, *Shariah*: 1. Islam, like Judaism is a religion of *Halakha,* in that is God-given law which regulates minutely all aspects of life: law, worship, ethics and social etiquette. *Halakha-Sharia* is the very essence and core of both religions.

2. This religious law is based on the Oral Tradition called in Arabic, Hadith and in Hebrew by words of identical meaning which

أما المستشرق المعروف Montgomry Watt فلا يزال مغرماً بترديد تلك القصة المدسوسة؛ أعنــى قصة الغرانيق، وتأسيس نتائج عليها، كما

=======authoritatively interprets and supplement in the written law, in Arabic, Kitab and in Hebrew, Torah the-Bikhtav which comes from the same root-word.

3. The oral tradition falls into two parts, one legal in the widest sense of the word and the other moral. In both Muslim and Jewish literature, they assume the same form of loosely connected mazims and short anecdotes.

4. Although the Muslims had a State when they created their religious Law, and although they had contact with the organized Christian churches, their *Sharia* like the Jewish *Halakha*, was developed by a completely free and unorganized republic of scholars. Rulers in classical Islam might make decisions in regard to the special cases but they never created or officially promulgated laws on their own. Nor did Islam ever have a hierarchy of religious dignitaries who decided questions while sitting in official synods or councils as was the practice ofo the Christian churches.

5. In both Judaism and Islam, the religious law took its final shape in the form of different schools or rites which originally represented the most widely accepted decisions or usages of one country like the Jewish rites of Palestine and Babylonia or Medina or Iraq with the conception common to both religions was that these schools and rites were all equally orthodox.

لو كانت أمـراً مسلماً لـدى الثقات مـن علمـاء المسلمـين(١).

---

6. The logical reasoning applied to the development of ======

the religious law is largely identical in Islam and Judaism which could not but have been thee result of direct connetion.

7. The study of even purely legal matters is regarded in both religions as worship. The holy men of Islam as in Judaism are not priests or monks but students of the divinely-revealed law. Thus the Ulema in Muslim community occupy the same functions as the rabbits among Jews.

8. Muslim religious law developed mainly in Iraq, the chief centre of Jewish studies at that time. (PP. 59--60)

(١) يقول Watt :

" There was some difficulty to begin with over the pagan shrines other than the Ka'abah. The story of the "satanic" evidence for this. Muhammad, It is reported, inspiration is the once received what he thought to be a genuine revelation which ran as follows :

Have you considered al-Lat and ul-Uzza,

And Manat, the third, the other?

These are the fods to be exalted,

Whose intercession is hoped for.

This delighted the pagan meccans for they took it as an knowledgement of the worship of their pagan shrines.......Later,

ثم يقدم "واط" نصيحة بأن على الاسلام أن يقبل ويقر بالحقائق حول

===== however, (though it is not certain how much later), Muhammad realized that the third and fourth verses were not a genuine revelation but had been suggested to him by Satan and that the true continuation of the first two was:

Have you the male issue and He the female
In that case, it is a divisiojn unfair,
They are nothing but names which you and your
fathers have given.......

This naturally annoyed the pagans who had been delighted by the previous version. The point to note is that Muhammad did not at first see any incompatibility.
Presumably he thought that these three dieties, each of which had an important shrine in the Meccan region, were something like angels.
The whole incident is interesting and impotatnt, however, and shows that the Muslims decided and only gradually which animistic practices were compatible with montheism and which were not, One aspect of the Arab outlook made it easy for Islam to incorporate practices which had originally been aministic, a practice could be regarded as commanded by God and human beings did not seek reasons for God's commands.
Thus the sanctuary at Mecca was sacred beause God had so decreed; the circumambulation of the Ka'abah was obligatory for Muslims because God had so decrewed and so on
with many other rituals which came to form part of the Pilgrimage.
When one looks at the details of what later became established Muslim
=

أصولـه، ويوضـح قصده بقولـه أن علـى الاسـلام أن يعـترف بالتـأثير الواقعـى للموروثات الدينية اليهوديـة والمسيحية، والموروثات الثقافية السوريـة والعراقيـة والمصريـة القديمـة علـى بنـائه؛ وفـى هـذه الحالـة يقبله الغرب ولا يرفضـه.(١)

==== usage one finds vestiges of animism omnipresent.
M.Watt, Islam and the Integration of Society, London, 1961,PP 188 - 189

(١)المرجع السابـق ص ٢٨٣ ، يقول واط :

" The obstacles seem almost insuperable. All the distorted idealogical conception which have been noted would require to be correted. ISLAM WOULD HAVE TO ADMIT THE FACTS OF ITS ORIGIN __ the historical influence of the Judaeo-Christian religious traditions and the cultral traditions of Syria, Iraq and Egypt.This would lead to a revised conception of the relative importance of religious and cultural factors in the growth of Islamic civilization. It would have to be prepared to learn, even in the religious sphere,from Christian and hard. It would have to look again at the Jews and that would be very centuries in which it thought of itself as the community in whose life the history of mankind was consummated and realize that whatever the future may bring, its rule during some of those centuries was much humbler. It would have to

distinguish more radically .

ويتحدث Philip K. Hitti فى كتابـه:

(Islam and the West, An Historical, Cultural Survey
(Princeton, New Jersey, 1962, PP. 14 - 16)

فيلخص مسألة أصل الاسلام والقرآن بأنها يهوديـة مسيحيـة عربيـة حيثية، ويحاول - ما وسعته المحاولـة - أن يستدل على ذلك بحجج مفتعلة وأمور مختلقـة.(١)

====than has hitherto been done, between the essential principles of its divinely-given code of conduct and the temporary applications and work out fresh applications to novel circumstances. (p. 283).

يقول فيليب حتـى:

The sources of the Koran are unmistakable--Christian, Jewish and Arab heathen, Hijaz itself had Jewish but no Christian colonies, but had Christian slaves and merchants, It was surrounded by centres whence Christian ideas could have radiated into it.The Prophet had two Abyssinan slaves, his muezzin Bilal and his future adopted son, Zaid. He also had a a Christian wife,Marya the Copt as well as a Jewish one,Safiyah born to one of the Medinese tribes he desroyed. Drawn second-hand from heresay, the Koranic material does not distinguish between what is canonical and what is not. In the story of Joseph, for Potephar's wife invites to a party those women whose instance. tongues were wagging about her affair with Joseph' and when their eyes fall on him, the knives in their hands

ويثير المستشرق Gibb مسألة غريبة تتعلق بنقد القرآن وامتحانه في ضوء المقاييس النقدية المتطورة، وفي رأيه أن المسلمين فطوا

===== fall on their wrists rather than the fruit they were eating. Jesus speaks unto mankind in the cradle and fashions out of clay, a living bird which has a parallel in the apocryphal Gospels of Infancy, Jesus' crucifixion is disclaimed but not his ascension. Not only is his virgin birth accepted but his mother's seems to have some superhuman feature where, however , she is confused with Mary, the sister of Aaron. Another confused biblical character is Haman. the favourite of the biblical Ahaseuerus who is made the Minister of Pharoah. More serious than such slips are verses reflecting the weak spots of Muhammad's career and character. Surah 33 verse 37 was revealed to justify Muhammad's marriage to the wife of his adopted son. Zaid, Surah 53, verses 19 to 23 were revealed to withdraw an earlier recognition of three Meccan goddesses as intercessors with God.

Only part of his revelations were recored in his lifetime; the Text was not finally "canonized" until A.D . 651. The miraculous character of the Koran relates not only to origin and contents but to form. How could an unschooled man produce such a work that is not only insuperable but inimitable. Even if men and jinn were to collaborate, they could not produce the lke of it, Muhammad was authorized by God to challenge his critics to produce even one comparable Sura. (X:39) the challenge –as expected–was never successfully defied. Especially when chanted does this holy book seem to exercise by virtue of its rhyhm and rhetoric, a

ذلك بشأن الحديث النبوى؛ بيد أنهم لم يطبقوا هذه المقاييس النقدية على القرآن الكريم ليستوثقوا هل حقاً هذا القرآن هو كلام الله الموحى به، يقول Gibb :

In contrast to the Hadith, the Quran itself has remained almost intouched by any breath of evolutionary Criticism. Only a few Indian liberals and still fewer Arab socialists have yet ventured to question that the Quran is the literally inspired Word of God, and that its every statement is eternally true, right and valid[1]."

وبعد: فقد يظن أن المستشرقين قد انفصلوا عن "عصر الجهالة" كما يسميه (ساوذرن)، وأقلعوا عن (موضتهم) فى دراسة مصادر القرآن لاثبات عدم أصالته كما ذكر ذلك(يوهان فوك)، ومما يؤسف له أن بعضهم لايزال يكرر فى استسلام غريب تلك الدراسات غير العلمية، وفى دراسة حديثة جداً يعقد المستشرق M. Cook فصلاً فى كتاب له بعنوان (محمد) للبحث فى مصادر القرآن يستهله بقوله: "لكى نفهم ماذا فعل محمد لخلق ديانة جديدة، فإن من الضرورى أن نعرف المصادر الدينية التى كانت متاحة له، وفى أى صورة كانت... ويرى أن التأثير اليهودى فى القرآن بدا واضحاً فى القصص القرآنى وفى

---

quasi-hypnotic effect upon its hearers even though they but ---- dimly understand its meaning. The impact is more on the emotion and imagination than on the intellect. (pp.14-16).

(١) H. A. R. Gibb, Modern Trends in Islam, New York, 1972, P. 50

المصطلحات الدينيـة... ويذكر أن عناصر قرآنية أخرى مسيحية الأصل دون ريب؛ والمثال الواضح على ذلك ما جاء فـى القـرآن عن حيـاة عيسى، وأسطورة أهل الكهف، وغير ذلك من الأمثلة التى يمكن ذكرها. وهنـاك التـأثير المسيحـــى اليهودى (أى المسيحيين الذيـن مـن أصـل يهودى Judeo-Christians .. ويرى " ميشيل كول " أن هذه الجماعـة المسيحيـــة اليهوديـة كـانت موجـودة فـى فلسطين فـى القـرن السـابع الميلادى، وأنها أثرت على الاسلام بلا شك.

ويذكر أن القرآن قد استمد كذلك من الوثنية العربية بعض الشـعائر مثل شعائر الحج، وأن القرآن قد استمد مسألة الأشـهر الحـرم وتحـريـم القتال فيها من الوثنيات السابقـة، وبالذات والاغريقية(١) .

---

(١) Michael Cook, Muhammad, 1987, Oxford University Press, PP, 77-80 وهو كتاب واسع الانتشار مؤلفه محاضر فى مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقيـة فى جامعة لندن فى سلسلة Past Masters ويقول كول :

ولقد درس "هنرى لامانس " مصــادر القرآن بطريقـة متجافيـة عن الحق ومستدبرة أصول البحـث العلمــى، حتـى إن المستشرق الفرنسـى مكسيم رودنسون لم يملك إلا أن ينتقده بشدة قائلاً:

" لقد شعر كثيرون من بينهم أنا شخصياً بنفس الشعور الذى عـبر عنـه جولدزيهر نفسه (ورواه لـى الراحل ماسنيون فـى خطابـه المؤرخ فـى ١٨/٧/ ١٩٦١) قـائلاً فيـه: مـاذا سـيبقى مـن الأنـاجيل لـو أن هـنرى لامـانس طبـق عليهـا ذات الطرق النقديــة التـى طبقهـا علــى القـرآن الكريــم ؟

"What would remain of the Gospels if he applied to them the same methods he applies to the Quran(1)?"

وبعد ذكر هذه المقتطفات من دراسات المستشرقين عن مصادر القرآن المزعومة، أذكر مرة أخرى بأن هذه المسألـة قد خاض فيهـا كثـير مـن المبشـرين كذلـك، وإن نظـرة واحـدة إلـى فصـول كتـاب الدكتـور تسـدل المسمــى " تنويـر الأفهــام بمصــادر الاســلام " ترينـــا أن المستشــرقين والمبشرين قد أجمعوا على البحث عن مصدر أو مصادر للقرآن الكريـم بعيداً عن الوحــى الإلـــهى...، وهذه الفصول هي:

١ ـ فى البحث والنظر فيما ذهب إليه القائلون من أن بعـض عقـائد المسلمين ورسومهم وفرائضهـم مـأخوذة مـن مذاهـب العرب فـى أيـام الجاهليـة، وأن هذا هو أول مصادر الديانـة الاسلاميــة.

---

(١) Maxime Rodinson, A Critical Survey of Modern Studies on Muhammad, P. 61

وقد نشر هذا البحث ضمن كتاب "دراسات عن الاسلام" ترجمها إلى الانجليزية "مارلين سوارتز" ونشره مطبعة جامعة أكسفورد ١٩٨١م

٢ ـ في البحث فيما ذهب إليه بعض المعترضين من أن بعض التعاليم والقصص الواردة فى القرآن أو الأحاديث مأخوذة من تفاسير اليهود الوهمية، وأن بعض فرائض المسلمين الدينية مأخوذة من طريقة الصابئة.

٣ ـ فى النظر والبحث فيما ذهب إليه بعض المعترضين من أن كثيراً مما ورد فى القرآن مأخوذ من حكايات وروايات بعض فرق النصارى المبتدعة العاطلة و آرائهم الباطلة.

٤ ـ فى النظر والبحث فيما ذهب إليه المعترضون من أن بعض أركان القرآن والأحاديث أخذت من كتب أصحاب زرادشت والهنود القديمة.

٥ ـ بخصوص الحنفاء وتأثيرهم على أفكار محمد وعلى تعاليمه

وبالطبع فإن هذه المباحث قد عقدها الدكتور تسدل ليصل منها إلى "إقامة الدليل الساطع... على أن أكثر القرآن وأغلب عقائده إنما أخذت بلا شك ولا شبهة من الأديان الأخرى ومن الكتب التى كانت موجودة فى أيام محمد ولا تزال موجودة الآن ـ فحينئذ يندك أساس الديانة الاسلامية دكاً، وتنهار دعائمها، وتدرس معالمها "(ص١١ ـ ١٢)

أى فرق إذاً بين كتاب الدكتور تسدل وكتابات جويتين، وجولدزيهر، ونولدكه، وواط، وكول ولامانس وغيرهم ؟!

التشكيك فى لغـة القرآن وفصاحتـه

بعد أن أسرف المستشرقون فى التشكيك فى مصدر القـرآن،... وكأن الأمر قد استقام لهم، راحـوا يشككون فى سلامته اللغويـة والأسلوبيـة، ويحاولون النيل من بيانـه وفصاحتـه وبلاغته ونظمـه وترتيبه ومعطياته، وكل ما يتعلق بعظمته وسموه وإعجازه ... يقول توماس كارلايل ـ مؤلف كتاب الأبطال ـ بعد أن اطلع على ترجمـة جورج سيل ـ المشوهة الناقصة ـ عن القرآن الكريـم :

" إننى يجب أن أقول إنى لم أعان قراءة متعبـة كقراءتـه أبـداً ... إنه مجموعة مشوشة مضطربـة... فج... تكرار بلا نهايـة... التـواء طويل... تشابك، فج جـداً، مشوش، غباوة لا تحتمل "(١)

وقال مثل ذلك، أو قريبـاً منـه المستشرق (دوزى ت ١٨٨٣م)، فقد أطلق عبارات مريضة عن القرآن فحواها: أنـه كتاب ذو ذوق ردىء للغايـة، ولا جديد فيه إلا القليل، وفيه إطناب بالـغ وممل إلى حـد بعيد(٢)

وعلى هذه الوتيرة من مجافاة مقتضيات الحيدة العلمية، سار معظم المستشرقين فـى بحوثهم عـن القـرآن الكريـم، واقـرأ إن شئت لـ (جولدزيهـر) أو (بلاشـير) أو(كازانوفـا) أو(دوزى) أو (نيكلسـون)(٣) أو غيرهم...، فقد لاك هـؤلاء وقبيلهـم شـبهات ومزاعـم عـن حفـظ القـرآن، وجمعـه، والنسـخ المحفوظـة لـه، وعـن اختـلاف القـراء والقراءات،

---

(١) Carlyle T. On Heroes, Hero-worship and the heroic in History, London, 1935, P.83

(٢) الاسلام فى الفكر الغربى ص١١٨، الاستشراق ص٦٤ للدكتور زقزوق .

(٣) Nichilsom , The Idea of Personality in Sufism, Lahore , 1982 P . 9 .

تدخلوا فى النص المقدس الكريم بالزيادة والنقصان،... وإنك لتجد أن أول ما افتتح به (جولدزيهر) كتابه: (مذاهب التفسير الاسلامى) قوله: ".. فلا يوجد كتاب تشريعى اعترفت به طائفة دينية اعترافا عقديا على أنه نص منزل، أو موحى به، يقدم نصه فى أقدم عصور تداوله، مثل هذه الصورة من الإضطراب، وعدم الثبات، كما نجده فى النص القرآنى(١).

أما (بلاشير) فإنه لم يتوان فى بذر الشكوك وإثارة الشبهات، ولي الحقائق، وتزييف الوقائع، لينال من القرآن الكريم..، فقد شكك فى حرص الرسول على كتابة الآيات حال نزولها، وأن خوفه كان شديداً لما نزل عليه الوحى لأول مرة ، فلا يمكن له أن يكتب ما نزل عليه، ولأن المسلمين كانوا فى صراع مع يهود المدينة الذين كانوا يسيطرون على وسائل الكتابة. واستخلص من ذلك أن النص القرآنى لم يكتب بأكمله فى عهد الرسول.. والحفظ ليس مثل الكتابة ، ومن ثم فإنه لا ينبغى احتمال اختلاط النص الأصلى ببعض الزيادات الطفيفة التى أدخلت عليه فى العهود المتأخرة...، وافترض بلاشير بعض الأسباب التى جعلت الرسول - فى زعمه - لا يحرص على كتابة القرآن فى عهده، وذكر عدة احتمالات غير صحيحة؛ لأنها أسست على مقدمات باطلة، إذ من المعروف المقطوع به - من خلال الوثائق الثابتة والتواتر الملزم - أن عناية النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه بكتابة القرآن لا تقل عن عنايته بحفظه لزيادة التحرى والضبط، برغم أن أدوات القيد والكتابة لم تكن آنئذ ميسورة.

---

(١) مذاهب التفسير الاسلامى ص٤

وهل اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم كُتابا للوحى من أبرز الصحابة كالخلفاء الراشدين وغيرهم إلا لهذا الغرض؟ وهل كان نهيه عن كتابة الحديث ـ أول مرة ـ إلا لتوجيه العناية إلى القرآن وحده فلا يختلط بالسنة؟ .. هذا مسألة مفروغ منها عند كافة المسلمين، عامتهم وخاصتهم ، فى جميع أزمانهم وأمصارهم .

وانظر إلى غرابة افتراض بلاشير، لتعليل عدم كتابة القرآن فى عهد الرسول ـ كما يزعم ـ، فيقول " إن ميل الرسول وأصحابه إلى ترك الأمور على ما هي عليه، يؤيد ما اشتهر به العرب من أنهم لا يفكرون إلا فى الحاضر، ولا يهمهم أمر المستقبل، وهذا الميل يقف وراء عزوف المسلمين عن جمع القرآن فى عهده، إذ لم تكن الحاجة ماسة إليه، كما يؤيد ذلك عدم تعيين خليفة له "(١)

أما المستشرق (كازانوفا) فإنه يشك فى نسبة بعض الآيات إلى الوحى، ويرجح ـ دون اعتماد على منطق أو وثائق أو وقائع ثابتة ـ أن أبا بكر الصديق هو الذى أضاف بعض الآيات للقرآن الكريم(٢)

ويتحدث أرنولد نيكلسون .. ".. والقارئون للقرآن من الأوربيين لا تعوزهم الدهشة من اضطراب مؤلفه وهو محمد، وعدم تماسكه فى معالجة كبار المعضلات ... وهو نفسه لم يكن على علم بهذه المتعارضات ... كما لم تكن حجر عثرة فى سبيل صحابته الذين نقل إيمانهم الساذج القرآن على أنه كلام الله ... لكن الصدع من هنا وجد،

---

(1) Blachere, Introduction to Coran, P. 16-26 Paris

نور الدين شريبة، ص٧ ـ ٨

(٢) انظر بحث التهامى النقرة فى مناهج المستشرقين .

وسرعان ما أظهر نتائج بعيدة الآثار.(١)

ويزعم (بلاشير) أنه ليس هناك نص موحد للقرآن الكريم مؤسساً زعمه هذا على فهم مغرض للقراءات القرآنيـة..، ومن ثم فإنه يجوز قراءة القرآن بالمعنـى.. كما ذهب جولزيهر ...(٢) والعجيب أن هؤلاء في - بحوثهم لا يفرقون بين القراءة المتواترة والأخرى الشاذة .

ويروج (بلاشير) لفكرة باطلـة أخرى، هي أن أمر النبى صلـى اللـه عليه وسلم بتدوين الوحـى لم ينشأ إلا بعد أن هاجر إلى المدينة، وأقام بها، وأن التدويـن كـان جزئيـاً وناتجـا عـن جهـود فرديـــة، ومثـاراً للاختلاف .(٣)

وقد ذهب المستشرق (لوت) إلـى أن النبـى صلـى اللـه عليـه وسـلم مدين بفكرة فواتح السور مثل: حـم ، وطسـم ، وكـهيعص إلـخ لتـأثير أجنبـى، ويرجح أنـه تأثير يهودى، ظناً منه أن السـور التـى بـدأت بهذه الفواتح مدنية، خضع فيها النبـى صلى الله عليه وسلم لتـأثير اليهود، ولو دقق هذا الافـاك لعلـم أن سبعاً وعشريـن سورة من تلـك السـور التسـع والعشـرين مكـية، وان اثنتيـن فقـط مـن هـذه السـور مدنيـة،

---

(١) الصوفية فى الاسلام، ترجمة نور الدين شريبـه ص ٧ ـ ٨ ، نشرة القاهرة .

(٢) مذاهب التفسير الاسلامـى ص٦، ١١، ١٢، ٢٩، ٣، ١١، ٣١، ٥١

كما أن Blachere قد ترجم القرآن الكريم فى مجلدين، وقدم لترجمـة كل سورة بمقدمـة، ورتبـه حسب نزولـه مؤسساً هذا العمل على دراسـات T. Noldeke النقديـة للقرآن الكريم، كما اقتبس كثيراً من عبارات وطريقـة R. Bell المعروفـة حسبما يذكر رودنسون ص٤٠ .

(٣) بلاشير : مدخل للقرآن ص ٢٨ ـ ٢٩

هما: البقرة وآل عمــران.(١)

وبالنسـبة لموقـف المستشرقين مـن القـرآن فقـد كـانوا فـى غايـة الانسجام والتوافق مع مزاعمهم السابقة واللاحقة، ويكفى للتدليل علـى ذلك كتاب (الحداد) بعنـوان (دراسـات قرآنيــة) وهـو كتـاب لأحـد غـلاة المستشرقين بـث فيه ناقع سمــه ولاهب حقــده.(٢)

وفى الواقع إنه كان للرسول الكريم، وللحق، خصوم وأعداء ألـداء مثـل كازانوفـا، ولـوت وبلاشـير، ودوزى، وجولدزيهـر، ودى ســاس، ونيكلسـون ، وسيـل ، وبطـرس المحـترم، ولـل، وغـيرهم ... وكـان أعداؤه أكثر من هؤلاء ذكاءً وحماسة، ولم يكونوا أقل منهم دهاءً، ومع ذلك لم يوجهوا هذه المزاعم لــه، لوهائها وتناقضها وسقوطها .

---

(١) د. محمد غلاب: نظرات استشراقية فى الاسلام ص٤١ ـ ٤٢ .

(٢) مقال التهامى النقرة .

المستشرقون والسنة المطهرة

المستشرقون والسنـــة المطهرة

ترتبط السنة المطهرة بالقرآن ارتباطاً وثيقاً لا يمكن أن يتصور - مجرد تصور - أن تنفك عراه البتـــة، وهذا يفهم من صريح القرآن الكريم: ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نُزل إليهم﴾.(١)

ومن بدائـــه الأمور أن يقال إن الســنة تمثل بالنسبة للقرآن: المفصلة لمجمله، والمبينة لمشكله، والباسطة لمختصره(٢) . ومن بدائة الأمور أن يقال - كذلك - إن السنة هي الأصل الثانـي للاسلام، وإنها وحى الله إلى الناس بلغه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمرنا أن نتمسك بـه، ونحافظ عليه: قال صلى الله عليه وسلم: *" تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتى "*

لكن بعض رجال المؤسسة الاستشراقية المتجافين عن أبسط قواعد البحث العلمـى المرعية وأصوله المقررة، حاولوا - فى هجمـة منكرة فاضحة - التشكيك فى السنـة ...، ولم يـألوا جهداً، ولم يدخـروا وسعاً فى ذلك؛ بغيـة هدمها ونقضها وطمسها،(٣) وهي محاولات مأجورة

---

(١) سورة النحل ٤٤

(٢) الشاطبى: الموافقات ج١ ص١٢

(٣) للتعرف على مزيد من التفاصيل عن دراسات المستشرقين للسنة المطهرة انظر:

__ A. Guillaume; The traditions of Islam: an Introduction to the Study of The Hadith literature, Oxford, 1924

__ Juynboll, The Authenticity of The Tradition Literature Discussions in Modern Egypt. Leiden, 1968

__ J. Schacht, Revelation of Islamic Traditions, Jras, 1949

_ Ignaz Goldziher, Moslim Studies, London 1967_1971 2vols

ومشكورة من قبل رجال التبشير والاستعمار معاً.

يرى مكسيم رودنسون " أن علماء المسلمين الثقات قد ردوا عدداً كبيراً من الأحاديث، ومع ذلك فإن المنهج الذى استخدموه فى ذلك لا يرضى عنه المستشرقون اليوم. وتبدو الأحاديث التى قبلها العلماء المسلمون ليست أكثر وثاقة ـ فى نظر المستشرقين ـ من تلك الأحاديث التى ضعفوها ".(١)

ولنقف أمام محاولتين ثنتين ـ رغم الكثرة الكاثرة ـ وهما محاولتا المستشرقين اليهوديين (جولدزيهر) و(جوزيف شاخت) ....، والحق يقال: إن أول وأكبر مستشرق قام بمحاولة واسعة شاملة للتشكيك فى الحديث النبوى، كان المستشرق اليهودى جولدزيهر ـ الذى يعده تلاميذه من المستشرقين والمستغربين على السواء ـ أعمق العارفين بالحديث النبوى .. يقول عنه كاتب مادة الحديث النبوى فى دائرة المعارف الاسلامية (يوهان فك Fueck)(٢) .. " إن العلم مدين ديناً كبيراً لما كتبه (جولدزيهر) فى موضوع الحديث، وقد كان تأثيره على مسار الدراسات الاسلامية الاستشراقية أعظم مما كان لأى من معاصريه من المستشرقين، فقد حدد تحديداً حاسما اتجاه البحث فى هذه الدراسات وتطوره."(٣)

---

(١) مكسيم رودنسون مرجع سابق ص ٤٢

(٢) يوهان فك فى كتابه (عن الدراسات الاستشراقية فى أوربا) الصادر فى ليبزج سنة ١٩٥٥م ص ٢٣١ ، عن الاستشراق للدكتور زقزوق ص ١٠١ .

(٣) ويرى ألبرت حورانى أن جولدزيهر المستشرق اليهودى أعظم رمز فى تكوين وصياغة التصور الأوربى عن الاسلام فى تطوره وطبيعته كنظام ثقافى ودينى ----

ويلخص المستشرق (فانمولر Pfanmueller) عمل جولدزيهر الخارق!! قائلاً: "لقد كان جولدزيهر أعمق العارفين بعلم الحديث النبوى...، وقد تناول فى القسم الثانى من كتابه (دراسات محمدية) موضوع تطور الحديث تناولاً عميقاً، وراح ـ بما له من علم عميق، واطلاع يفوق كل وصف ـ يبحث التطور الداخلى والخارجى للحديث من كل النواحى، وقد قادته المعايشة العميقة لمادة الحديث الهائلة إلى الشك فى الحديث النبوى، ولم يعد يثق فيه، مثلما كان (دوزى) ولا يزال يفعل ذلك فى كتابه: (مقال فى تاريخ الاسلام) .. وبالأحرى: كان جولدزيهر يعتبر القسم الأعظم من الحديث بمثابة نتيجة لتطور الاسلام الدينى والتاريخى والاجتماعى فى القرنين الأول والثانى. فالحديث ـ فى رأيه ـ لا يعد وثيقة لتاريخ الاسلام فى عهده الأول: عهد طفولته، وإنما هو أثر من آثار الجهود التى ظهرت فى المجتمع الاسلامى فى عصور المراحل الناضجة لتطور الاسلام ... ويقدم جولدزيهر مادة

ـــ ويضيف الدكتور ألبرت أن الطبيعة اليهودية ومستقبل اليهود كانتا الشغل الشاغل للمستشرق جولدزيهر، وهو نفسه يخبر بذلك قائلاً: " ان اليهودية نبض حياتى "

"Judaism was the pulse-beat of my life"

يذكر ألبرت حورانى أن جولدزيهر قد عمل سكرتيراً عاما للطائفة اليهودية فى بودابست، وانه قد كانت لديه معرفة عميقة بالتلمود والآداب العبرية..

أنظر : (الاسلام فى الفكر الأوربى) ص ٣٦ ـ ٤١ .

وكان جولدزيهر يرى أن الاسلام قد انتشر بالقوة الخارجية فحسب، وذلك قبل أن تتشكل مبادئه الأساسية وتأخذ شكلاً محدداً. (فكرته عن التطور الاسلامى). انظر مكسيم رودنسون : بحث نقدى فى الدراسات الحديثة عن محمد ، ص ١٢٣ ـ ١٢٤)

هائلة من الشواهد لمسار التطور الذى قطعه الاسلام فى تلك العصور التى تم فيها تشكيله من بين القوى المتناقضة، والتباينات الهائلة، حتى أصبح فى صورته النسقية...، ويصور جولدزيهر التطور التدريجى للحديث، ويبرهن بأمثلة قاطعة كيف كان الحديث إنعكاساً لروح العصر، وكيف عملت على ذلك الأجيال المختلفة وكيف راحت كل الأحزاب والاتجاهات فى الاسلام تبحث لنفسها ـ من خلال ذلك ـ عن اثبات لشرعيتها بالإشارة إلى مؤسس الاسلام وأجرت على لسانه الأقوال التى تعبر عن شعاراتها "(١)

وبهذه الطريقة ـ فيما يرى ـ أمكن اختراع أو وضع الأحاديث الكثيرة..، وعلى سبيل المثال عندما اشتدت الخصومة بين البيت الأموى والعلماء الصالحين، راح العلماء يخترعون الأحاديث لمحاربة الطغيان والظلم. وراح علماء السلطة يضعون الأحاديث الى تخدم وجهتهم. والأمر لم يقف عند وضع الأحاديث فى الأغراض السياسية، بل تعداه إلى الوضع فى النواحى الدينية... فى أمور العبادات التى لا تتفق مع ما يراه أهل المدينة، وقد استمر هذا الحال فى وضع الأحاديث فى القرن الثانى أيضاً.(٢)

---

(١) عن الدكتور زقزوق: الاستشراق ص١٠٢

(٢) الدكتور مصطفى السباعى:" السنة ومكانتها فى التشريع الاسلامى" ص١٩ـ ١٩١، نشرة ١٩٧٨، وانظر الدراسة الموسعة عن (الوضع فى الحديث النبوى) التى أعدها الدكتور عمر حسن فلاته، بجامعة الأزهر، ونشرت فى ثلاث مجلدات، مكتبة الغزالى، بيروت، ١٩٨١م.

ويلخص (مكسيم رودنسون) عمل (جولدزيهر) قائــلاً: "قد كـان إجناس جولدزيهر واحداً من أوائل المستشرقين الغربيين الذين أخذوا على عاتقهم مهمة البحث فى هذه المشكلة، ولقد بين بشكل منهجـى كيف أن هذه الأحاديث قد زورت وزيفـت فـى العصـور الوسطى لمصلحـة العشيرة، أو المذهب، أو الحزب السياسـى لمناصرة المعتقد الأيديولجـى أو لحساب المصالح العمليـة(١)

أما الدكتور ألبرت حورانــى فيرى "جولدزيهر" "قد طبق المناهج النقديـة التى تعلمها فى ألمانيـا (التى نقد العلماء الغربيون بها أسفار الكتاب المقدس وتوصلوا بها إلى أن هـذه الأسفار قد لحقها التحريف والتبديل والزيادة والنقصان) علـى النصوص الأساسية للاسلام؛ علـى الحديث النبوى خصوصـاً وأنـه نظر إلـى هذا الحديث ليس علـى أنـه النص الذى وصلنا عن الرسول وصحابته دونما تغيير، ولـكن على أن الأحاديث مجموعـة من الكتابات قد وضعت بشكل تدريجـى عبر أجيال عديدة.

لذلك فهي لا تقبل على أنها تسجيل لما قالـه أو نقلـه محمد. ومن الأمـور ذات القيمة الأساسيـة فـى هذا الصدد إلقـاؤه الضـوء علـى النزاعـات السياسيـة والدينيـة فـى القرن الأول الهجرى. إذ أن لهـذا التبصر فى أحداث القرن الأول الهجرى أثر عميـق علـى كل الدراسات المتأخرة لعلم الكلام أو التشريع الاسلامـى.(٢)

---

(١) M. Rodinson, A Critical Survey ... P. 42

(٢) I. Goldziher, Muslim studies, London, 1961 Vol 2 PP. 17 – 251

A. Hourani , Islam in European Thought

ولقد عبر جولدزيهر عن وجهة نظره المفصلة عن الكيفية التى تطور بها الاسلام كنظام دينى فى سلسلة من المحاضرات كتبها سنة ١٩٠٧م وكان ينوى القاءها فى الولايات المتحدة الأمريكية، لكن لم يلقها، ثم طبعت فى كتاب بعنوان: Introduction to Islamic Theology and Law, Princeton, 1981

هذا عن جولدزيهر، أما (جوزيف شاخت) فقد سار على خط مواز له تماماً، كما أن المنزلة التى وصل إليها شاخت بين المستشرقين لم يصل إليها أى مستشرق، وقد نشر كتاباً بعنوان (المدخل إلى الفقه الإسلامى) Introduction to Islamic Law كما نشر كتابه المشهور: "The Origins of Muhammadan Jurisprudence" "أصول الشريعة المحمدية" وقد حاز هذا الكتاب على تقدير عامة المستشرقين، وتتلمذ عليه نفر غير قليل منهم، وقد أثر تأثيراً عميقاً فى كل من (أندرسون) و(روبسون) و(فيزجيرالد) و(كولسون) و(بوزورث) كما كان لأوهام شاخت تأثير بالغ على من تثقفوا بالثقافات الغربية من المسلمين.

وعن تقدير شاخت، استمع إلى (كولسون) أستاذ الفقه الإسلامى فى جامعة لندن، وهو يقول: "إن شاخت صانع نظرية عن أصول الشريعة الاسلامية غير قابلة للدحض فى إطارها الواسع". أما (جب) فيرى أن هذا الكتاب، سيصبح أساساً فى المستقبل لكل دراسة عن حضارة الاسلام وشريعته على الأقل فى العالم الغربى. أما خلاصة آراء (شاخت) ومحصلتها النهائية، فقد ذكرها فى (المدخل) قائلاً: "من الصعوبة اعتبار حديث من الأحاديث الفقهية صحيح النسبة إلى النبى،

ذلك أنه فى الجزء الأكبر من القرن الأول لم يكن للفقه الاسلامى - فى معناه الاصطلاحى - وجود كما كان فى عهد النبى. والقانون

ـ أى الشريعة ـ من حيث هي هكذا، كانت تقع خارجة عن نطاق الدين، وما لم يكن هناك اعتراض ديني أو معنوى أو روحي على تعامل خاص فى السلوك؛ فقد كانت مسألة القانون (الشريعة) تمثل عملية لا مبالاة بالنسبة للمسلمين". (١)

هذه النظرية تمثل أساساً لكل كتابات شاخت، ومن أخذ عنه، فإذا كانت الشريعة أو القانون تقع خارجة عن نطاق الدين، وكان النبى غير مكترث لها، وكذلك، المسلمون الأوائل من الصحابة والتابعين، فإن ما سجلته المصادر مما يشير إلى جهد متواصل من النبى صلى الله عليه وسلم، ومن جاء بعده من الصحابة، يكون كذباً مختلقاً فى رأى شاخت.(٢)

وهذا الإفك الرامى إلى عدم صحة حديث واحد من الأحاديث الفقهية المنسوبة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم يؤدى إلى أهداف كثيرة مبتغاة من المستشرقين تتمثل فى :

١ـ إن مطالبة الشعوب الاسلامية ورغبة بعض الحكام فى العودة إلى الشريعة الاسلامية لا أساس لها لأن الشريعة فى حقيقتها خارجة عن نطاق الدين .

---

(١) Gibb: Journal of Comparative Legislation an International Law 33 PP. 144

عن بحث الدكتور مصطفى الأعظمى فى (مناهج المستشرقين فى الدراسات العربية الاسلامية) ص٦٨، ١٠٨

(٢) نفس المصدر ص٣٤

٢ ـ ما يسمى بالفقه الاسلامى ليس مبنياً على كتاب الله وسنة رسوله؛ لإنه لا يوجد ما يمكن تسميته سنة النبى، بل إن جزءاً غير قليل من الفقه الاسلامى مأخوذ من شرائع اليهود والكنيسة وديانات أخرى، عدا اجتهادات المجتهدين.(١)

كما أن شاخت يزعم أن أكبر قدر من أسانيد الأحاديث اعتباطى... "ومعلوم لدى الجميع أن الأسانيد بدأت بشكل بدائى، ووصلت إلى كمالها فى النصف الثانى من القرن الثانى فى الهجرة...وكانت، الأسانيد كثيراً ما لا تجد أقل اعتناء... وأى حزب يريد نسبة آرائه إلى المتقدمين كان يختار تلك الشخصيات ويضعها فى الأسانيد"(٢)

هذا الذى يزعمه شاخت قريب ـ فى غرابته ـ من كلام المستشرق (منجانا) الذى رفض فيه أن يكون القرآن الكريم مكتوباً فى القرن الأول الهجرى؛ لأن يوحنا الدمشقى ـ خصم المسلمين فى سوريا فى أواخر القرن الهجرى الأول ـ لم يذكر أن لدى المسلمين كتاباً. (٣)

ثم يتجنى شاخت على الإمام الشافعى ويتهمه بالتحريف والبعد عن الأمانة العلمية، ويختلق أمثلة كثيرة على ذلك. (٤)

---

(١) انظر لشاخت مقالاً بعنوان:

(٢) "Schacht :Foreign elements in anccient Islamic Law PP. 136 - 64

(٣)الدكتور الأعظمى ص٨٩ المرجع السابق

(٤) Schacht, Origins PP 321 - 22

هذا ولن نقف عند نقد المستشرق اليسوعي البلجيكي هنري لامانس للحديث النبوي لأنه لم يكن نقداً علمياً بشهادة المستشرقين أنفسهم مثل "مكسيم رودنسون" الذي يقول عنه : " ثم وجه هنري لامانس نقداً متطرفا

Radical Criticism للسنة ؛ خصوصاً ذلك الجزء الذي يتعلق بسيرة الرسول ، .. ثم يقول :

" ولقد تبنى هنري لامانس البحث الذي بدأه جولدزيهر والأفكار التي طرحها ، وتطرف في التحليل النقدي للحديث النبوي عند المسلمين غاية التطرف . وكشف القناع بلا هوادة عن تلك الاتجاهات السياسية المتأخرة الكامنة خلف الروايات، التي أعادت تقدير أعمال وأقوال الرسول وأصحابه .

وقد سخر لامانس بلا تحفظ تلك الأساليب النقدية التي استخدمها علماء القرن التاسع عشر (في الغرب) ضد عقيدته الخاصة، في دراساته القاسية البائسة للحديث النبوي الزائف (في رأيه(١) كما أن منتجمري واط يجزم بأن كثيراً من حكمة الشرق الأوسط، والحكمة العربية القديمة ونصوصاً من العهدين القديم والجديد قد وجدت طريقها إلى الاسلام ؛ وإلى السنة ... ومن المحتمل أن يكون العلماء المسلمون المعتدلون هم الذين سلكوا طريق وضع الأحاديث أولاً ، ثم أكمل المتشددون الشوط ...(٢)

وعن موقف المستشرقين من شخص الرسول صلى الله عليه وسلم

---

(١) M. Rodinson: A critiacl survey.. P. 26

(٢) M. Watt, Islam and Integration of society, London 1961

" It is hardly too much to say that all the wisdom of the Middle East ==

ومناقشة مفترياتهم، يمكن مراجعة ما كتبه الدكتور السباعى فى (السنة ومكانتها فى التشريع) وما كتبه الدكتوران عماد الدين خليل، وجعفر شيخ إدريس فى كتاب (مناهج المستشرقين فى الدراسات الاسلامية)، كما يمكن مراجعة طرف من بحوث المستشرقين عن السنة فى كتاب العقيقى(١) وما كتبه الدكتور مصطفى العظمى فى دراساته عن السنة المطهرة .

وأختم هذا المبحث بحديث للمستشرق المعروف (رينولد نيكلسون) عن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم جاء فيه:"... سأسلم مبدئياً بصدق محمد فى دعواه (النبوة) وبحقيقة نبوته؛ وهي مسألة طالما شك فيه الناس أو أنكروها. وحجتى فى ذلك أولاً أنها من المسائل التى أجمع عليها المسلمون، وثانياً لأننى أعتقد أن أى فرد يخالف هذا الرأى يعجز عن أن يفسر نشأة الاسلام وتاريخه الأول. نعم من السهل أن نتبين الموقف المتناقض الذى وقع فيه الرسول بدعواه أن ما أنزل عليه كان وحياً من السماء مقرراً لا تغير فيه، وأنه لم يكن إلا واسطة فى نقل هذا الوحى إلى الناس، بينما اقتضت الأحداث والظروف التى أحاطب به أن ــــــــــــــــــــــــــــــــ

==== became incorporated into the traditions - ancient Arab wisdoms, sentences from the Old and New Testaments, Neoplatonic and Gnostic doctrines and maxims from Persia and India... Much of this material was clearly inconsistent with Islam and must have worried the leaders of the main body of moderate Muslims but those who believed in one or the other part of it saw that by passing if off as coming from Muhammad, they justified their own practices of forging Hadith was begun by the moderates belief in it ... It is likely that the and continued by the eccentries. Then the moderates borrowed it from the eccentrics. It is difficult for modern westerners to realize how hard it was for the naseent Islamic culture working with different categories based on oral materials dealt with a situation like that. In an oral culture, once a story has been passed around, it is remembered if it is a good one whether it is true or not and attempts to deny it are regarded as due to ulterior motives. (p. 225)

(١) المستشرقون ج ٣ ص ٥٤١ ـ ٥٤٦

يكون ذلك الوحى من المرونة بحيث يفى بمطالبه وحاجاته. فلو كان محمد دعياً، لحق لنا أن نتعجب من قصر نظره، ولو كان صادقاً لحق لنا أن نعترف بقصر باعه فى النبوة .(١)

أما المستشرق (هاملتون جب) فيرى أن محمداً صلى الله عليه وسلم هو الذى ألف أو لفق الاسلام من عند نفسه، وتصرف فى ذلك بحرية تامة.(٢)

---

(١) R. A. Nicholson, The Idea of Personality in Islam, Lahore, 1970, P,5

وهذا نص عبارة نيكلسون :

" I am going to take for granted what has often been doubted or denied - the sincerity of Mohammad and the reality of his prophetic inspiration - partly because it is a point on which all Muslims are agreed and also because it seems to me that on no other hypothesis can the origin and early history of Islam be accounted for. It is easy to emphasise the contradictions into which he was drawn by his postulate of a fixed and immutable revelation, written in a heavenly book and communicated to him by a process in which he was merely the passive medium, while the course of events constatly required that the revelation should be plastic and responsive to his needs. If he was an impostor, we can only wonder at his lack of foresigfht; but if he was sincer, it must be admitted that his prophetic endowment was not of the highest order " .

(٢) Hamilton A.R. Gibb, Studies on the Civilization of Islam, Edited by S.J. Shaw and W.R. Polk, London, 1962, Lahore 1987. P. 212 .

وقد جمع الناشران خمسة عشر دراسة لهاملتون، بعضها فى غاية الأهمية والخطورة مثل:

—The Reaction in the Middle East Against Western Culture Paris, 1951

—The Structure of Religion Thought in Islam, (The Muslim world, 38, Hartford, Conn, 1948)

— Some Considerations on the Sunni Theory of the Caliphate, Paris, 1939.

— The Islamic Background of Ibn Khaldun's Political Theory, London, 1933.

— An Interpretation of Islamic History, 1950.

— The Evolution of Government in Early Islam, Paris, 1950.

— The Armies of Saladin, 1951.

— The Achievement of Saladin, Manchester, 1952.

المستشرقون
وسيرة الرسول (ص)

المستشرقون وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم

هذا باب واسع خاض فيه كثير من المستشرقين، وكتبوا فيه بحوثاً ودراسات عديدة يصعب حصرها، ولقد حاول بعض المستشرقين المعاصرين تتبع هذه الدراسات وتصنيفها وفهرستها وتقويمها، ونذكر من بين تلك المحاولات تلك التى قام بها كل من :

W.M. Watt, The Biography of the Prophet in recent Research, I. 1954, Islamic Quarterly.
Rudi Parret, European Research on life and work of Prophet Muhammad. JPHS. Pakistan, 1958
Maxime rodinson. A Critical suvey of Modern studies on Muhammad (Studies on Islam, translated by Merlin L. Swartz, New York- Oxford University Press, 1981.

قلت خاض فى هذا الباب كثير من المستشرقين، ولم ينصف معظمهم الرسول صلى الله عليه وسلم، فرموه بالكذب والدجل والجنون إلى غير ذلك من تهم ومفتريات، كما أن أكثرهم نظر إلى السيرة المطهرة والسنة المشرفة بعين الارتياب والتشكك، ونسوق ـ فيما يلى ـ بعض الأمثلة التى تعطى صورة مجملة عن الموقف العام لكثير من أبرز رجالات المؤسسة الاستشراقية من الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم:

(١) يزعم المستشرق جوستاف فيل فى كتابه عن محمد النبى (١٨٤٣م) أن ما كان ينتاب الرسول صلى الله عليه وسلم مما يشبه الحمى، وما كان يسمعه من صوت كصلصلة الجرس، ليس وحياً وإنما هو نوبات صرع واضطرابات عصبية.

(٢) المستشرق أليوس سبرنجر فى كتابه عن حياة محمد وتعاليمه (١٨٦١م) يزعم أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان مصاباً بالصرع والهستيريا معًا .

(٣) المستشرق تيودور نولدكـه فى كتابه عن تاريخ القرآن (١٩٠٩م) يزعم أن محمداً صلى الله عليه وسلم كـانت تتتابـه نوبـات عنيفـة من الانفعال جعلته يظن أنـه تحت تأثير إلهى ويظن أنه يتلقى وحياً .

(٤) المستشرق صمويـل مرجليـوث فـى كتابـه عن " محمد وظهور الاسلام " (١٩٠٥م) يزعم أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد ضلل الناس عمداً بادعائه الوحـى.

(٥) المستشرق وليام موير فى كتابه عن حياة محمد (أربعة أجـزاء) يصف الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه نبى كاذب، ويزعم أنـه تحـول من واعظ تقـى فـى مكـة إلـى سياسـى طمـوح فـى المدينـة، ربط نفسـه بالشيطان من أجل النجاح الدنيوى .

ويكشف هذا المستشرق عن موقفه من الاسلام والرسـول فيقـول: " إن سيف محمد والقرآن همـا ألـد الأشياء عداوة للحضـارة والحيـاة والحق مما لم يعرفه العالم حتى الآن " .

(٦) المستشرق ماكدونـالد ـ أستاذ المستشرق جب ـ كتب فى مجلة: " العالم الاسلامى " ١٩٣٣م يصـف الاسـلام بأنـه ليـس أكـثر مـن هرطقـة آريوسـية مـن الدرجـة الثانيـة[١] ويكـون الرسـول بذلـك ليـس أكـثر مـن شخص خارج على الديانة المسيحية.

---

(1) Edward Said, Orientalism, p. 151

D.B. Macdonald, whither Islam? The Muslim world, Jan. 1933

ولمزيد من التفاصيل عن دراسات المستشرقين حول الرسول صلى الله عليه وسلم وسيرته وسنته انظر :

Tor Andrae; mohammad: the man and his Faith, New York, 1963
Maxime rodinson, Muhammad, Ehglish Trans. Penguin Book, 1971
M. Watt, Mohammad At Mecca, Oxford, 1953
M. Watt, Muhammad, Prophet and State man, Oxford, 1964
Guillaume, New light on the life of Muhammad, Manchester, 1960
Guillaume, The life of Muhammad, Oxford, Karachi, 1987
Henri de Boulainvilliers, The life of Muhammad, London, 1983
Dr. Henry Stubbe, An Account of the Rise and Progress of Muhametanism, with the life of Mahomet, Orientala, Lahore, 1911.

(٧) يصف Karl Barth إلـه محمد صلى الله عليه وسلم أنه وثن لا يختلف عن الأوثان الأخرى.

" The God of Muhamed is an Idol like other Idols " (١)

وبنفس الطريقة يرى المبشر اللاهوتى المستشرق الهولندىH. Kramer الاسلام بأنه صناعة بشرية، ودين وضعى، وليس وحياً أوحاه الله(٢).

(٨) يؤلـــف المستشـــرق (Gibb) كتابـــاً كـــاملاً يســـميه Muhammadanism

ينحو فيه هذا النحو الغريب.(٣)

(٩) " تـاريخ الاسـلام لجامعـة كـامبردج " : كتـاب ضخـم اشترك فـى تأليفه عدد كبير من المستشرقين المعاصرين، صدر سنة ١٩٧٠م؛ يردد ما يراه معظم المستشرقين منذ نشأة الاستشـراق حتـى اليوم، وهـو أن الاسلام مزيج ثقافى : Cultural Synthesis مستعار مـن عدة ثقافـات أخرى: يهودية ونصرانية ويونانية وفارسية؛ بالاضافة إلى ثقافة بيئتـه الأصلية؛ أى الجاهلية العربية(٤). ودور محمد، صلى الله عليه وسـلم، فيه هوالتجميع والتلفيق.

(١٠) المستشرق مونتجمرى واط فـى كتابـه: (محمـد النبـى ورجـل الدولـة) ١٩٦٤م ـ يزعـم أن القـرآن ليـس وحيـاً، وإنمـا هومـن انتـاج الخيال المبدع " Creative Imagination وأن القرآن يعتمد كثـيراً علـى الأخذ من اليهودية والنصرانية(٥)

---

(١) Quoted in G. Parrider Comparative Religion, London,1962,P.48

(2) H.Kramer, Religion and the Christian Faith, London, 1956,P334

(٣) H.A.R. Gibb, Muhammaddanism; An Historical survey, London-Oxford, 1947

(٤) The Cambridge History of Islam, Cambridge 1970, Edited by, Holt, Ann Lambton, and Bernard Lewis. See. E. Said, Orientalism, pp. 302-50.

(٥) M. Watt, Muhammad: Prophet and State man, Oxford, 1964, pp. 229-240

وفى رأى M. Watt أن الصفات الشخصية التى أعانت الرسول صلى الله عليه وسلم على نشر الاسلام هي ثلاث صفات رئيسية :

١ ـ موهبته كعراف أو كاهن Seer :

أن مقدرته على استبصار الأسباب الرئيسية للتخلف الاجتماعى فى عصره، وعبقريته عن هذا الاستبصار فى استحضار نص يهز السامع من أعماق كيانه، وهو يشير بهذا إلى القرآن الكريم، ويرى أن القارئ الأوربى ينفر من القرآن، ومع ذلك فهو كتاب يناسب حاجات بيئته وظروف عصره فقط !! .

٢ ـ حكمته كسياسى :

يقرر أن محمداً صلى الله عليه وسلم كان ذا نظر بعيد كمخطط سياسى وكمصلح إجتماعى، وهذا يتضح من التوسع السريع لدولته فى المدينة، حتى أصبحت ـ بعد زمن قصير ـ " أمبراطورية " عالمية، ويتضح كذلك من "تكييف " مؤسساته الاجتماعية (أى مؤسسات الاسلام) للتطبيق فى بيئات كثيرة متنوعة، واستمرار هذا التطبيق حتى الآن .

٣ ـ مهارته فى الادارة :

وتتجلى هذه المهارة فى اختياره للرجال الذين عهد إليهم تولى الأعمال الادارية اليومية، وذلك لأن المؤسسات السلمية والسياسة الحكيمة لا تؤثر تأثيراً فعالاً إذا كان التنفيذ خاطئاً أو ضعيفاً. وقد خلف محمد صلى الله عليه وسلم دولة ذات إدارة قوية .

ثم يتساءل المستشرق Watt هل كان محمد نبياً؟ . فى إجابته على هذا السؤال يزعم المستشرق أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يتمتع بما يسميه الخيال المبدع: Creative Imagination، وهو فى هذه الخاصة يشارك غيره من الفنانين والشعراء والكتاب ذوى الخيال المبدع؛ فكل هؤلاء يعبرون بالصيغ الحسية (أى بالصور والقصائد

والتمثيليات والروايات) عما يشعر به كثير من الناس، ولكنهم لا يستطيعون التعبير عنه بأنفسهم؛ ومن ثم يتميز الانتاج العظيم للخيال المبدع بنوع من العالمية " لأنه لا يعبر عن مشاعر ومواقف الفرد الذى أنتجه، بل عن مشاعر ومواقف جيل كامل من الناس .

ويرى المستشرق أن الأنبياء والزعماء الدينيين ذوى النبوءات (أى القادرين على التنبؤ) يشتركون مع الفنانين والشعراء والكتاب فيخاصية الخيال المبدع، ومن ثم يعلنون أفكاراً تتصل بأعمق التجارب الانسانية، مع الاهتمام الخاص بحاجات العصر والجيل .

وعلامة النبى العظيم - فى رأيه - هي ما تحدثه " أفكاره " من جاذبية عميقة " أى تأثير عميق " عند أولئك الذين وجهت إليهم هذه الأفكار .

ويتساءل المستشرق: من أين تأتى هذه الأفكار ؟

ويشير إلى رأى من يقولون بأنها تأتى من اللاوعى، وإلى رأى من يقولون أنها تأتى من الله (وهؤلاء هم المؤمنون بأديان الوحى). ويرى هو أنها تأتى من تلك الحياة داخل الانسان التى هي أكبر منه، وهي غالباً تحت مستوى الوعى ولها صلة بالله[١]

---

(١) أشار مونتجمرى واط فى كتاب آخر إلى أن الوحى صادر عن جهة من نفس محمد، وأن تلك الجهة هي الاوعى الجماعى The Collective Unconsciousness ويعنى بذلك أن موضوعات الوحى كانت موجودة فى اللاوعى عند محمد صلى الله عليه وسلم، ومستقاه من المحيط الجماعى الذى عاش فيه قبل البعثة، وبخاصة من خلال صلاته بورقة بن نوفل، وما كان الملك (جبريل) إلا خيالاً أدى إلى حضور تلك الموضوعات إلى وعيه، فى الحالة التى يسميها الوحى: راجع:

1969 ,M. Watt: The Islamic Revelation in the Modern world, Edinburgh

Cf, also: Muhammad at Mecca, (oup. 1961 pp.65,93,103) .

وللتوسع انظر: للأستاذ الدكتور أحمد عبد الحميد غراب: (رؤية إسلامية للاستشراق) نشرة أكسفورد

ويقرر المستشرق أن ليس هنالك بالضرورة ما يحتم أن تكون كل أفكار الخيال المبدع صادقة وصحيحة. ويتساءل: ما القول فى تلك الأفكار التى ينتجها الخيال المبدع وهي كاذبة أو غير صحيحة؟.

وهنا يعرض للمقارنة: فيذكر أن الخيال المبدع عند هتلر كان على درجة كبيرة من التطور، كما كان لأفكاره تأثير واسع (على الجماهير)، ولكن يعتقد أنه كان مصابا بالعصاب (الاضطراب العصبى)، وأن الألمان الذين اتبعوه إلى درجة التعبد قد أصابتهم عدوى ذلك العصاب.

ومن الواضح أن المستشرق يحاول هنا ـ فى خبث ـ أن يقارن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وما أوحى إليه من الذكر الحكيم بهتلر وما عرف عنه من عصاب وهستيريا كانت تؤثر فى الجماهير.

ومن الواضح كذلك أن المستشرق يردد هنا ما ردده المستشرقون من قبله من افتراءات، كان منها ـ كما سبق ـ وصفه صلى الله عليه وسلم بالصرع والاضطراب العصبى والهستيريا.

ويذكر المستشرق أن "أفكار" محمد (صلى الله عليه وسلم) التى أنتجها خياله المبدع كانت ـ إلى حد كبير ـ حقيقية وصحيحة. ولكن هذا لا يعنى ـ فى زعمه ـ أن كل ما فى القرآن صحيح. فبعض " الأفكار " القرآنية حقيقية وصحيحة، وبعضها الآخر ليست كذلك.

وهنا نقطة تبدو فيها " الأفكار " القرآنية ـ فى زعم المستشرق ـ غير حقيقية وغير صحيحة، وهي الفكرة القائلة بأن الوحى (أى ما يسميه هو إنتاج "الخيال المبدع" هو أسمى وأوثق من الطرق الإنسانية العادية كمصدر للحقيقة التاريخية. وهنا يشير إلى عدة آيات قرآنية تؤكد أن الله يوحى إلى رسوله بأنباء الغيب كقوله تعالى :

﴿تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا﴾ (هود ١١ : ٤٩) .

ويقرر أنه يقبل أن الخيال المبدع " يمكن أن يقدم تفسيراً جديداً وأكثر صدقاً للأحداث التاريخية، ولكنه لا يقبل أن يكون " الخيال المبدع " مصدراً للحقيقة التاريخية المجردة (أى مصدراً للإخبار بالغيب عن حقائق التاريخ) ويزعم أن هذا مبالغة وكذب !! .

وهذه النقطة ـ كما يؤكد المستشرق ـ ذات أهمية خاصة بالنسبة للمسيحيين؛ وذلك لأن القرآن ينكر قتل عيسى عليه السلام أو صلبه، ويعتقد المسلمون أن هذا الانكار أهم من الشواهد التاريخية التى تقول بصلب المسيح؛ وهو يشير بذلك إلى قوله تعالى عن اليهود :

﴿ وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله ، وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ﴾ (النساء ٤ : ١٥٧) .

ويرى M. Watt كذلك أن محمداً صلى الله عليه وسلم قد صاغ الدين الجديد ليجعله أكثر عروبة؛ بعد أن خيب اليهود آماله وخذلوه بعد الهجرة، ولم يستجيبوا له، ويرى أن تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة فى مكة المكرمة قد جاء فى هذا السياق؛ سياق تعريب الاسلام والقرآن، يقول M. Watt :

" من الواضح أن محمداً قد تعمد صياغة الدين من جديد ليصبح أكثر ملائمة للعروبة. ولقد أمل ـ لفترة من الوقت بعد هجرته إلى المدينة ـ أن يقبله اليهود رسولاً، ولقد عمل ـ فى هذا الصدد ـ على التأكيدعلى الملامح المشتركة لتعاليمه وتعاليمهم. لكن بعد مرور عدة أشهر تحقق أنه لا توجد فرصة لكسب اعتراف اليهود به (ولم يفعل مثلما فعل بولس من قبل أنه اتجه إلى الوثنيين بعد أن رفضه اليهود)، فأخذ فى تقديم عناصر عربية مميزة لديانته، استجابة ـ فيما يظهر ـ لرغبة مسلمى المدينة على الأقل .

ولقد وجه أتباعه من قبل أن يتوجهوا إلى بيت المقدس في عبادتهم، ثم أوحى إليه - طبقاً للقصة التقليدية - بينما كان يصلى فى مسجد أحد العشائر فى المدينة - أن يتوجه إلى مكة، وقد أطاع هو وأصحابه الأمر وتوجهوا نحو مكة وأكملوا صلاتهم، ومنذ ذلك الوقت أصبحت الكعبة قبلة المسلمين. وبهذه الطريقة صورت القطيعة مع اليهود. لقد ظهرت بالفعل عناصر عربية فى الاسلام.. وأصبح الوحى قرآنا عربياً، وخطاباً دينياً للناطقين بالعربية، وأطلق على الكعبة بيت الله. وارتبطت مكة والكعبة بابراهيم، وللوهلة الأولى حاول محمد نفسه أن يؤدى الحج إلى مكة والطواف حول الكعبة؛ وبهذا تم أسلمة عديد من العبادات العربية القديمة "(١)

---

(١) M. Watt, Islam and the Integration of Society ,London 1961,P. 93

" is clear that Muhammad deliberately moulded the new relgion to make it more Arabian. For a time after he went to Medina, he hoped that the Jews there would accept him as a prophet and emphasized the common features of his teachings and theirs. At the end of some months, however, he realized that there was no chance of gaining Jewish recognition and (not unlike Paul turning to the Gentiles) began to introduce distinctively Arab elements, apparently in accordance with the desires of at least some of the Medinian Muslims. Previously he had told his followers to face Jerusalem when they performed the worship. Now according to the traditional story, while he was conducting the worship in the prayer place of one of the Medinian clans, he received a revelation to face Mecca instead and head all the congregation turned round and completed the worship facing Mecca. Ever since then, Mecca has been for Muslims all over the world, the Kiblah or direction to be faced in worship. In this way, was dramatized the break with the Jews. There had already been Arab elements in Islam the revelation had been an Arabic Quran, that is, a religious lecture for the revelation had been an Arabic-speakers and the Ka'abah had been acknowledged as a house of God. Now Mecca and the Ka'abah were linked up with Abraham and at the first opportunity, Muhammad himself attempted to perform the pilgrimage to Mecca and the circumambulation of the Ka'abha, thereby Islamizing several old Arabian rites.

ويحاول Dr. Hitti أن يعطى قراءه انطباعاً محدداً بأن محمداً صلى الله عليه وسلم كان رجلاً محتالاً Imposter ، فهو قد وضع فى رأسه خطة كاملة ونفذها بعد الهجرة من مكة إلى المدينة؛ يقول مثلاً :

" فى المدينة تراجعت تدريجياً طبيعة العراف أو الكاهن فيه، ثم برزت شخصية السياسى ورجل الشئون العملية. وقد لوحظ تغير فى خصائص الوحى كذلك؛ ذلك الذى أكد على وحدانية اللـه وصفاته وواجب الانسان تجاهه فى لغة ايقاعية ذات طابع موسيقى، وقد تحولت إلى نثر ممل يعالج مسائل مثل شعائر الصلاة والصيام، والزواج والطلاق، وأرقاء وأسرى الحرب "(١)

ويرى فيليب حتى أن سيرة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم قد كتبت من الذاكرة بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم بزمن طويل، وأن كتاب السيرة كتبوها كما كانوا يرغبون أن تكون عليه سيرة الرسول صلى لله عليه وسلم لا كما وقعت بالفعل، وأنهم قد اختلقوا وخلعوا على مؤسس ديانتهم وبانى مجدهم كثيراً من التبجيل والتعظيم ووضعوا لذلك أحاديث ونحلوه أفعالاً ليست له، يقول حتى فى نفس المرجع: " مع أن محمداً قد ولد فى فترة مضاءة تاريخياً، فإن الوجود التاريخى لمحمد يحيرنا. إن أول كتاب سيرته قد كتب بعد ١٤٠ سنة من وفاته؛ وحتى هذه السيرة فإنها قد بقيت فى صوره تنقيح أبن هشام الأخير لها فقط، وابن هشام هذا قد توفى فى القاهرة سنة ٨٣٣ م .

---

(١) Dr. Philip Hitti, Islam and the West, an Historical, Cultural survey, 1962, pp. 9-11-22-23-26-27.

In Medina gradually the seer in him recedes to the background, the politician, the practical man of affairs, emerges. A change in the character of the revelations is noted. those fiery passionate incisive ones emphasizing the oneness of God, His attributes, and the duty of

==

وفى ذلك الوقت كان مؤلفو السيرة شرعوا يكتبون بالفعل عن بطلهم كما تصوروه فى وهمهم وليس كما هو عليه فى واقع الأمر. وقد مر توقيرهم وتبجيلهم لمؤسس عقيدتهم، وبانى مجدهم خلال مرحلة تمزج المثالية بالوثنية، وفى آخر الأمر تصل إلى الافتتان والعبادة فى دين عامة الشعب. ....، ولقد وضعت الكلمات فى فم الرسول ونسبت إليه أفعال تصوروا أنه فعلها بينما يرفضها السياق. .....(١)

---

man towards him and expressed in rhymned and musical style,=====

now yeild to the verbose, prosaie ones dealing with such matters as ritualistic fasting and prayer, marriage and divorce, slaves and prisoners of war.

Though born within the full light of history, the historical (١)

eludes us. His first biographer died in Bagdad about 140 Muhammad

years after his death and even that biography has survived only in a later recension by Ibn Hisham who died in Cairo in 833. By that time biographers were already writing about their hero as they thought he should have been, not as he was. Veneration for the founder of their faith and the creator of their glory had passed through the stage or idealization into idolization and at least in folk religion, in adoration. Two devices worked out by the early Muslim community served to loosen the rigidity of Islam's beliefs and practices. Words were put into the mouth of the Prophet of acts to him which it was thought he would have done and said had he been confronted with a particular situation. The authority of the Hadith, be it recalled, is second only to that of the Koran. Because it is a congregation with no centralized religious authority, consensus of the community fills that deficiency. to bolster futher the authority of public opinion, a hadith was ascribed to the Prophet; "My community shall not agree on error". Through this device, the miracles of Muhammad were accepted, the cult of saints with its concomitants of shrines, pilgrimages and vows was universally adopted; "circumcision to which there is no Koranic reference, became a couterpart of baptism in the Christian church and coffee-first

considered a form of wine-developed into a national drink, Espendiency supplied what authority lacked or decried .

Arab historians, mostly theologians, had a simple explanation for that spectacular expansion from a hithere to internationally insignificant Arabia resulting in the utter destruction of the greatest power in the East and striping the greatest power in the west of its fairest pronvices. It was all providential, in line with the clerical explanation of

Christianity's

ويشرح رودنسون موقف المستشرق هنرى لامانس من محمد صلى الله عليه وسلم وأهل بيته عامة قائلاً: " البحوث المقبولة لديه هى فقط تلك التى تظهر عدم الرضا بمحمد وأهل بيته .

وإن تحيزه العميق، وانتهاكه لحرمة النصوص لم تكن بالأمر الهين، كما أن أخطاءه قد أدته إلى الادلاء بأحكام فاسدة "(١)

ويثير كينت كراج مسألة أخرى عالجها كثير من المستشرقين، تتلخص فى الطعن فى كتاب سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم خاصة، والقدح فى المؤرخين المسلمين بعامة، يرى Dr. K. Cragg(٢) أن سيرة الرسول فى التحليل الأخير ما هي إلا قصة أسست على الاختيار الخالص " يعنى أن كتاب السيرة قد اختاروا ما كتبوه ولم يكتبوا ما وقع بالفعل من أحداث وأقوال .

---

spread and with the Hebrew Interpretation of the conquest of -----
Canaan. the motivation, we are assured, was religious-to propagate the faith. The fact is that the motivation was primarily economic. The surplus population of a desert peninsula had to seek elbow-room in adjacent lands. The lure of booty did not entirely escape the early historians of conquest. The Islam that first Conquered was not the religion but the state-not Mohammedanism but Arabianism. The Arabians burst in upon an unsuspecting world as a nationalist theocracy, seeking a fuller material life. Two or three centuries had to pass before Syria, Iraq and Persia presented the aspects of Muslim lands. When their peoples flocked to the fold of Islam, they were in general motivated by self-interest - economic social and political.

(١)The only accounts acceptable to him were those that reflected unfavorably on Muhammad and his family.
His excessive prejudice, his violation of the texts alittle too often, and his errors have justly called forth severe Judgments."

K. Cragg, The Call of Minaret, P. 93 Oxford, 1956 (2)

The prophet's biography is finally the story of a crucial choice, no less crucial than that implicit in the contrasted Gospel saying. "The cup that my Father hath given me, shall I not drink it" ? it

كتب المستشرق المعاصر مكسيم رودنسون بحثاً استعرض أهم الدراسات التى خصصت لسيرة محمد صلى الله عليه وسلم فى الغرب والشرق وعلق عليها .. وكان مما علق به على كتاب هنرى لامانس ما يلى :

" ... بينما لم يخصص مستشرق عملاً بأكمله لسيرة محمد فى تلك الفترة، ظهر رجل هيمن على الدراسات الاوربية المتعلقة بمحمد خلال الثلث الأول من هذا القرن العشرين؛ ذلكم الرجل هو Henri Lammence ، البلجيكى اليسوعى فرنسى المشاعر، المستشرق المعروف الذى رشحت خبرته أو حرفته الكهنوتية على اتجاهه الاستشراقى ...

" وقد كان هنرى لامانس - اضافة إلى ذلك - ممتلئاً الاحتقار الرهيب للاسلام، ولمجده " الزائف " ولرسوله " الفاسق " الداعر، و " لنفاقه "

---

the question, how should Prophethood succeed ? What is the =====

final relation of the messenger of God to the people to whom he is sent when they forbear to hear ? The Muhammedan decision here is formative of all else in Islam. It was a decision for community, for resistance, for external victory, for pacification and rule. the decision for the Cross-no less conscious, no less formative, no less inclusive was the contrary decision. It is impossible to say precisely when the choice became final in Muhammad's career. Some have argued a marked deterioration in the character of Muhammad in the Medinian years. That is probably too simple, mistaking a symptom for its source.
The deeper truth is that at some point, Muhammad elected for a religious authority, armed with sinows of war and means of government and that the decision worked itself out in character, conduct and destiny."

ولعرب الصحراء الذين كانوا فى تقديره جبناء متبجحين، نهبة، مخربين .

وبنفس الروح شن لامانس هجوماً شرساً ضد ... بالاشتراك مع جامعة القديس يوسف فى بيروت؛ ذلك المركز النشط للدراسات العربية. ثم عرج صوب الخليفة على بن أبى طالب فوصفه بالبدانة والقباحة والجبن وسوء الخلق، والاستسلام المهين لغطرسة زوجته الغبية، المتذمرة، فاطمة ... "

---

(١) Maxime Rodinson, A critical Survey ... P. 26

يتحدث مكسيم رودنسون عن الاهتمام المتزايد فى الغرب بقراءة سيرة محمد صلى الله عليه وسلم فيقول : " عقد نادى الكتاب الفرنسى استطلاعاً للرأى بين قرائه بغرض تحديد أعظم الشخصيات التى يرغبون فى ظهور سيرتها الذاتية مع ترتيب الظهور، فى البرنامج الخاص بنشر سير ذاتية لعظماء الانسانية الذى اضطلع به نادى الكتاب الفرنسى، وكانت نتيجة الاستطلاع أن جاء محمد على رأس القائمة والفارق كبير بينه وبين الآخرين : ص ٢٣

" Muhammad was at the head of the list and by a large margin "

وهذا نص كلام رودنسون عن هنرى لامانس بحروفه وألفاظه :

"In addition, he was filled with a holy contempt for Islam, for its "delusive glory", for its "dissembling" and "lascivions" Prophet, for the Arabs of the desert who in his judgment were crowds and swaggerers, plunders and destroyers. Associated with the University of Saint Joseph of Beirut of arabic studis he bitterly attacked (in the same spirit)... Turning towards the past he Lashed out against the Calif Ali whom he characterised as obese, ugly, timid, immoral, given to the tyrannizing of his wife, the "dull" and complaining" Fatima.

Taking up the investigations begun by Ignaz Godziher and the ideas which he had set forth, Lammence pushed to the extreme the critical analysis of Muslim tradition, unmasked without mercy the tater political tendencies behind the narratives which recounted the deeds and sayings of the Prophet and those of his companions.
In this relentless and deperete pursuit of the apocryphal, he utilized without discretion the critical tools which the nineteenth Century had used against his own faith.

وأظن أن مثل هذه الاستنتاجات الخاطئة هي التى دفعت الدكتور طه حسين إلى قولته المعروفة: "والغريب فى أمر المستشرقين – فى هذا الموضوع وأمثاله – أنهم يشكون فى صحة السيرة النبوية نفسها، ويتجاوز بعضه الشك إلى الجحود؛ فلا يرونها مصدراً تاريخياً صحيحاً وإنما هى عندهم – كما ينبغى أن تكون عند العلماء جميعاً – طائفة من الأخبار والأحاديث تحتاج إلى التحقيق والبحث العلمى الدقيق، ليمتاز صحيحها من منحولها... – هم يقفون هذا الموقف العلمى من السيرة، ويغلون فى هذا الموقف، ولكنهم يقفون من أمية وشعره موقف المتيقن المطمئن، مع أن أخبار أمية ليست أدنى إلى الصدق، و لا أبلغ فى الصحة من أخبار السيرة .

فما سر هذا الاطمئنان الغريب إلى نحو من الأخبار دون الآخر؟ أيكون المستشرقون أنفسهم لم يبرؤوا من التعصب الذى يرمون به الباحثين من أصحاب الديانات ؟!! .

ولعل غلو بعض المستشرقين فى هذا الصدد قد دفع الدكتور عبد الرحمن بدوى ليكتب سفراً باللغة الفرنسية " دفاع عن النبى صلى الله عليه وسلم ضد المفترين عليه " صدر مؤخراً عن دار " ألفابيتا " للنشر بباريس .

لمحة عن موقف المستشرقين من العقل الاسلامى وانجازته فى مجال التشريع والفقه، والأصول والكلام والفلسفة والتصوف :

أرى أن ما ذكرته آنفاً يكفى لتوضيح جهود المؤسسة الاستشراقية فى محاولتها النيل من القرآن والحديث؛ أصلى الاسلام، والطعن فى صحتهما، والتشكيك فى مصدرهما. ولم يكفهم هذا، بل راحوا يطعنون فى الصرح التشريعى والفقهى الشامخ الذى أقيم عليهما (فهم حريصون على تجريد المسلمين والعقلية الاسلامية والفكر الاسلامى بصفة عامة، من كل القيم الانسانية والابتكارات العلمية،[١] فزعم المستشرق (شيلدون آموسى) أن: الشرع المحمدى ليس إلا القانون الرومانى للإمبراطورية الشرقية معدلاً وفق الأحوال السياسية فى الممالك العربية. ويزعم أيضا أن: أن القانون المحمدى ليس سوى قانون جستنيان فى لباس عربى[٢].

ويدلل هؤلاء على دعواهم بأساطير خرافية، منها: أن النبى صلى الله عليه وسلم كان على معرفة واسعة بالقانون الرومانى. كما أن فقهاء المسلمين قد تعرفوا على آراء فقهاء مدارس القانون الرومانى وأحكام المحاكم الرومانية فى البلاد التى كانت لا تزال فيها هذه المدارس والمحاكم قائمة بعد الفتح الاسلامى[٢]

---

(١) الدكتور زقزوق ص١٠٦

(٢) قارن بحث الدكتور محمد سليم العوا فى كتاب (مناهج المستشرقين) وللتوسع فى الاطلاع على كتب المستشرقين وبحوثهم يمكن الرجوع إلى الكتب التالية: ـ ---

وذهب المستشرقون كل مذهب فى محاولة تجريد المسلمين من كل ميزة أو فضل أو أثر فى مجال العلوم بعامة؛ والعلوم العقلية بخاصة... يقول المستشرق (سنتلانا المتوفى ١٩٣٩م) فى محاضراته (دروس فى التعاليم الفلسفية التى كان يلقيها على طلابه فى كلية الآداب بجامعة القاهرة ولا تزال محفوظة بخط يده فى مكتبة الجامعة، يقول: " ... والعلوم الاسلامية مؤسسة منذ بدء نشأتها على علوم اليونان وأفكار اليونان، بل وعلى أوهام اليونان، ... حتى لا يكاد يفهم آراء حكماء الاسلام، ولا مذاهب قدماء المتكلمين

_ Arbarry A. J.The Koran Interpreted, Oxford Univ. Press 1964 -----

Gibb. __ Coulson, N.J.: A history of Islamic Law. Edenburgh. 1964.

— Mohammadanism, 2nd. ed. Landon, 1964.

— Macdonald: Development of Muslim Theology, 1965

__ Montgomry Watt: Islamic Philosophy and Theology, 1965

__ Schacht J. 1-: An Introduction to Islamic Law, Oxford, 1956 2-: The Origins of Muhammadan Jurisprudence, 2nd ed. Oxford, 1956

Mingana A. An Important Manuscript of The Traditions of Bukhari. Cambridge, 1936.

__ Nicholson, A literary History of the Arabs, Cambridge, 1962

__ Wensinck, The Muslim Creed, Cambridge, 1932

__ A Handbook of early Muhammadan Tradition, Leiden. 1927

__ Fitzgerald, The Alleged Dept of Islamic to Roma Law, LWR. Vol. 67 1951, PP 81 - 102

__ Robson: "The Isnad in Muslim Tradition" and "The Material of Tradition".

ولا بدع المبتدعين، من لم يكن لـه بحكمة اليونـان معرفة شافيـة، لا مجرد إلمام، وهذا لا يحتاج إلى عيـان "(١)

أمـا المستشرق (ألفريد جيوم Alfred Guillaume) فإنـه يدافـع بحرارة وحماس عن ذلك قائـلاً: نـرى طائفـة مـن كتـاب الغرب تذهب إلى أن الفلسفة المسماة بهذا الاسم " الفلسفة العربيـة " ليست إلا خليطاً من آراء القدماء لا تجانس بين مواده المتخالفـة،.. فهم منتهون إلـى أنـه ليس هنـاك شيئ اسمه فلسفة عربيـة، وإلـى أن الشعوب الناطقـة بالضاد لـم تفعل شيئا أكثر مـن أنهـا استولت علـى الفلسفة اليونانية التى كانت شائعة بين المسيحيين من أهل سوريـا، والمثقفين من أهل حـران الوثنية، ثم أضـافت إليهـا بعض عنـاصر استمدتها مـن فارس والهند" ...ثم يدلـى بحكمـه قائـلاً: " ومهما يكن من شيئ فإن من الحق أن نرد الفلسفة العربيـة فى مادتهـا وصورتهـا وغايتهـا إلـى حضارة البلاد التى غزاها العرب، وأن نعتبر الفلسفة اليونانيـة المعين الذى استقوا منه مذاهبهم... ومن الحق كذلك أن نذهب إلى القـول بـأن مـا أضافـه العرب مـن الثقافـة الانسانية إلـى تـراث مـن سبقهم مـن المفكرين، لم يكن كبير الشأن ملمـوس الأثـر، وبـالرغم مـن هـذا، فإننـا على يقين من أن ما خلفته الحضارة الاسلاميـة لا خطـر لـه، أو ليس أكثر مما ورثته عن غيرها من الحضارات..."(٢)

---

(١) سانتـلانا : (دروس فـى التعـاليم الفلسفيـة نشرها د. عصام الدين محمد علي فـى الرياض بعنوان (الوجود الإلـــهى) ص٣٤ ط ١٩٨١

(٢) ألفريد جيـوم: (الفلسـفة والإلـــهيات) فـى الجزء الأول مـن (تـراث الاسلام) ترجمـة الدكتور توفيق الطويل، نشرة مصورة عن لجنة الجامعيين للنشر ض٢٢١ ـ ٣٢٣

هذا ويتهم المستشرق المعاصر Nadav Safran الاسلام نفسه بأنه سبب تأخر المسلمين " لأن القصور الذى جاءت به رسالة محمد أدى إلى القول بأن العناية الإلهية هي صانعة التاريخ، وإلى أن ظهر محمد كانت وجهة النظر الممكنة تقر بأن أحداث التاريخ متطلعة إلى الكشف الكامل للإرادة الإلهية. ولكن بظهور محمد انتهى كل ذلك؛ على اعتبار أن محمداً خاتم الرسل، ولا تمام يرجى شكلاً أو موضوعاً من الارادة الإلهية أكثر من ذلك .

وعلى ذلك يمكن للتاريخ أن يتحرك فقط صوب المستوى الذى وضعه محمد، ... ومن الواضح أن الكمال من وجهة النظر الاسلامية يبحث عنه فى الماضى "(١)

أى بظهور محمد صلى الله عليه وسلم توقفت حركة التاريخ المتقدمة الصاعدة الباحثة عن التمام والكمال، لأن محمداً وضع المقياس الذى لا تتعداه حركة التاريخ، ومن أراد الكمال والتمام ـ من المسلمين ـ فلينظر صوب الماضى وحده، لأن المقياس الأعلى من السمو قد صنعه محمد صلى الله عليه وسلم، ولا يستطيع أحدٌ أن يتعداه، وهذا فى رأى المستشرق (نداف سفران) اليهودى سبب تأخر المسلمين .

---

(١) Nadav Safran , Arab and Jews , P . 16

"The conception of Muhammad's mission has led to a pessimistic view of history. Until the appearance of the Prophet, it was possible to view the historical process as progess toward a perfct revelation of God's will but with the appearance of Muhammad, this process came to an end . Since Muhammad was viewed as the "Seal of the Prophets", no further perfction could be expected in the statement and interpretation of the Divine will. Henceforth, history could move only on or below the level to which Muhammad had raised it and, as a matter of fact, the chances that

ليس ذلك فحسب لكن المستشرق الكبير "واط" يحاول بكل سبيل أن يبرهن على أن الشريعة الاسلامية صناعة بشرية خالصة، ويجردها من كل قيمة دينية علوية فيقول: " إن إنزال عقوبة الرجم على مرتكب جرم الزنا يبين كيف أن العادات غير العربية أصبحت إسلامية. فالعقوبة التى جاءت فى القرآن لجريمة الزنا هي الجلد؛ بيد أن بعض الفقهاء قد أقروا بعقوبة الرجم إن كان مرتكب الزنا محصناً. لقد كانت العقوبة الشائعة فى المدينة ـ أثناء حياة محمد ـ هي الجلد...، وعندما دخل الاسلام بعض رجالات المسيحية اليهودية عقدوا العزم على العودة إلى عقوبة الرجم التى ألفوها. وفى واقع الأمر بدأت القصص تروى لإظهار أن محمداً وبعض كبار صحابته قد مارسوا تنفيذ عقوبة الرجم."(١)

---

it would remain on that level were poor. It is clear that in ====== the Islamic view, perfection is to be sought in the past to which all present activity must refer for justification.

(١) M. Watt: Ibid, P. 192

"The infliction of the punishment of stoning for adultery (if what is becoming standard Western interpretation of the confused material is accepted), shows how a non-arab custom could be Islamized. The Quranic punishment for adultery is flogging; but some of the jurists also recognized stoning as a punishment in the case of married persons. The normal punishment for adultery at AMedina iin Muhammad's time life was flogging though to begin with and in certain cases,it may have been house imprisonment. When many persons from the Judaeo-Christian tradition became Muslims, they tended to retain the punishment of stoning to which they had been accustomed. Eventually, stories began to be circulated showing that stoning had been sanctioned and practiced by Muhammad and some of the leading companions"

ثم يكشف "واط" اللثام عن نقطة أخرى وهي أن دراسات كل من "إجناس جولدزيهر ويوسف شاخت" عن تطور وتطوير الشريعة الاسلامة، قد أدت إلى تنافر وجهتى النظر الغربية المعاصرة والاسلامية، يقول "واط" "لقد حدث تقدم عظيم فى فهم العلماء الغربيين فى القرن الأخير لتطور الشريعة الاسلامية. فالخطوة المتميزة التى خطاها جولدزيهرنحو نقد الحديث النبوى قرب نهاية القرن التاسع عشر، والخطوة الأخرى وثيقة الصلة بالشريعة قد أتمها حديثاً يوسف شاخت فى كتابه: (أصول الشريعة المحمدية) طبع فى أكسفورد ١٩٥٠ وكنتيجة لهذا العمل وأعمال مستشرقين كثيرين آخرين أصبحت النظرة الغربية المعاصرة إلى تطور الشريعة الاسلامية مختلفة تماماً عن النظرة الاسلامية العامة المعتمدة"(١)

ويأتى مستشرقنا الكبير لمناقشة فريضة الجهاد الاسلامية، والحكم عليها بأنها أضعف جوانب الاسلام وأنها ليست إلا عادة عربية قبلية قديمة، يقول "واط" :" فى الوقت الذى أصبحت فيه الدولة الاسلامية

---

(١) I.b.d. P.199

"There have been great advances in the understanding of the development of the *Shariah* By Western scholars during the last century. A notable step foward in the critique of Islamic tradition was made by Ignaz Goldziher towards the end of the 19th century and another step more specifically connected with the *Sahriah* has recently been made by Joseph Schacht in his *Origins of Muhammadan Jurisprudence*, (Oxford 1950) As a result of the work of these and many other scholars, the modern Western View of the development of the *Shariah* differs considerably from the orthodox Muslim View.

أمبراطورية، وبرغم أنه من الشكوك فيه اعتبار فكرة الجهاد فكرة مناسبة أكثر من اعتبارها فكرة غير مواتية، فإنه بينما يمكن للقبيلة فى الصحراء أن تعتبر كل جيرانها بمثابة أعداء لها، فإنه لا يتيسر للدولة الكبيرة المعقدة أن تسلك هذا الطريق. وفى صدر الاسلام كان لزاماً على كل مسلم قادر أن ينخرط فى معسكرات الجهاد... وكان أكثر المسلمين يناضلون ليبقوا لائقين للخدمة العسكرية طوال حياتهم لأنهم بذلك يحققون ميزة العيشة الأرستقراطية كجزء من الطبقة الحاكمة الأرستقراطية. وعندما تراخى التوسع، ومع أنه أصبحت الحرب أكثر ضراوة، والغنائم أقل كمية، فإن كثيراً من المجاهدين لم يرغبوا فى مغادرة معسكرات الجهاد ضمن الحملات العسكرية الشاقة المتجهة صوب الثغور البعيدة... ووجد القادة المسلمون أخيراً فى توظيف المرتزقة الذين قد لا يكونون مسلمين حلاً لذلك.

وهكذا فإن فكرة الجهاد أو الحرب المقدسة قد توقفت وفقدت أهميتها... ولربما كانت فكرة الجهاد أوهن الجوانب فى تصور الأمة الاسلامية؛ لأنها قد طورته من الفكر القبلى العربى القديم.(١)

---

(١) M. Watt, Ibid, P. 160

"By the Islamic state had become an empire, however,it is doubtful whether the idea of the Holy war was more advantageous than disadvantageous. While it may be possible for a desert tribe to regard all its neighbours as enemies, it is not easy for a large and complex state to behave this way. In Muhammad's closing years, it had been obligatory for every able-bodied Muslim to take part in the campaigns unless excused. Most Muslims seemed to have been content to remain liable for military service throughout their lives. they had the privilege of living as part of a

ويلح "مونتجمرى واط" على توضيح فكرته هذه قائلاً: " مع أن الاسلام قد عبر عن الناموس الابراهيمى بصفة أكثر ملاءمة للمقولات الفردية أو الشخصية لبعض الشعوب الشرقية على الأقل، أكثر من المسيحية التى قدمت هذه التقاليد الابراهيمية بطريقة ما، أكثر مناسبة للمقولات العقلية لتلك الشعوب التى تكون معظم الشعوب المسيحية ـ من الكاثوليك والأورثوذكس والبروتستانت ـ من الناطقين باللغة اليونانية واللاتينية وأحفادهم.

ويقول "واط" :"إن نظرة الاسلام إلى الأسفار المقدسة Bible وإلى تاريخ المسيحية خلقت مشاكل لا يمكن تصورها البتة أمام قبول الأوربيين للاسلام. وتوجد إشارة ضئيلة فى الاسلام ـ لتحرك ما ـ نحو توحيد التعاليم المتنافسة بما يمكن مقارنته مع ذلك الاتفاق الذى تم بين الاغريق واللاتين بشأن مبدأ التثليث أو الثالوث على أنهم سواسية.(١)

---

ruling aristocracy. When the expansion slowed down, ===== however, and the fighting became harder and the booty less plentiful, many were unwilling to leave the camp sites for arduous expeditins to distant frontiers... Eventually muslim leaders are found employing mercenaries who might not even be Muslims. Thus the Idea of the Holy war ceased to have much real importance... Jihad is perhaps the weakest part of the conception of the Islamic community as it has been developed out of the old Arab idea of the tribe."

(١) M. Watt, Ibid, P 275

"Although Islam has produced a from of the Abrahamic tradition more suited to the individual categories of at least some oriental peoples than Christianity, it is a long step from that to allowing that Islam has

لكن مونتجمرى واط يجزم بأن الاسلام لن يجد قبولاً عاماً، ولن يصبح نظاماً عالمياً، حتى ولو افترضنا أنه قد أصبح الدين الوحيد على الساحة العالمية نتيجة ظرف طارئ مثل حرب عالمية أخرى قد اندلعت فأتت على الديانات الأخرى وبقى الاسلام وحده، فهل سيقبله المجتمع الانسانى؟ يرى "واط" أن الناس لن يقبلوه لسببين رئيسيين هما:

(١) لأن الاسلام قد اعتمد فى أصوله وفى تطوره على التعاليم اليهودية والمسيحية.

(٢) تحت هذا الظرف المفترض (أن الاسلام قد أصبح الدين الوحيد نتيجة حرب عامة أخرى) فإن الذين سينتقلون للاسلام من تعاليم أخرى تختلف فى تصوراتها العقلية عن تلك التى يتمتع بها الاسلام، والتى من المفترض أن يتقبلوها كما هي بدون تمحيص وإن ذلك سيكون خسارة فادحة للمجتمع الانسانى فيما يتعلق بعنصر التنوع والثراء.(١)

---

produced a form of the Abrahamic tradition in any way ====== suited to he intellecual categories of the peoples who constitute the Christendom - Catholic, Orthodox, and Protestant, the great body of Greek and Latin speakers and their descendants. The attitude of Islam towards the Bible and towards the history of Christendom has made it almost wholly unaware of the problems insolved in presenting Islam to Europeans. There is a little sign in Islam of any move towards the integration of rival traditions comparable to the agreement between Greeks and Latins to regard their formulations of the doctrine of the Trinity as equivalent

(1) Ibid, PP. 275 - 6

" Suppose that as a result of another world war in which all other religions were seriously weakened, Islam became the dominant religion throughout the world and that its rivals gradually faded away; could this be regarded as a satisfactory integration of world society? The answer

فالاسلام ـ كما يرى " واط " ـ ما هو إلا تطوير للناموس الابراهيمى ليلائم بعض شعوب الشرق الأوسط فحسب نظراً لطبيعة تصوراتهم وأنظارهم العقلية، وأنه لا يلائم الشعوب الغربية؛ لأنه لا يلبى تطلعاتهم العقلانية التى ملأتها المسيحية بعد أن قبلت الخلفية الإغريقية، وكذلك فإن العالم أجمع لن يتقبل الاسلام كنظام عالمى لأنه مؤسس على أصول مسيحية يهودية، ولأنه سيفرض مقولاته على الذين سيؤمنون به دون تمحيص لها أو تفكر فيها وبهذا يقضى الاسلام على التنوع الفكرى والثراء العقلى للانسانية، ولن تصبر البشرية على ذلك.

ومن الغريب الواقع هذا التفسير الطريف الذى جادت به قريحة " W. M. Watt. " لنجاح الاسلام وقبول الشرق له على نطاق واسع؛ لأن الاسلام كان ـ فى رأيه ـ رد فعل أو كان بمثابة اجابة الشرق ضد تحديات الغرب المتمثلة فى احتلال الأسكندر لأقطار الشرق الأوسط، ونشر موجة من التأثير اليونانى فى المنطقة؛ يقول "واط" :

---

would seem to be that this could not be ------------ satisfactory for two reasons. One is that such a world-religion would presumably not have fullyt accepted and acknowledged its dependence on Christian and Jewish traditions in its origins and its formative period and such a failure to accept one's past is as unhealthy for a society as for an individual. the other reason is that under the supposed circumstances, those who came into Islam from traditions whose intellectual categories were rather different from the intellectual categories of the Islamic tradition would presumably have to accept without question the formulations in terms of the intellectual categories of the existing islamic tradition. This would be a collossal loss to world society of an element of variety and richness. In the course of time, this movement of loss might in some measure be made good by a diversification within Islam but that coud not be reckoned on."

" لقد كان من التهور الكبير ادعاء أحد مواطنى مكة المعزولة أنه قد أسس ديناً مناظراً للديانتين اليهودية والنصرانية. كيف يتأتى لرجل لم يتجاوز أتباعه ثلاثمائة رجل فى معركة بدر سنة ٦٢٤م أن يضع نفسه فى نفس مستوى عيسى الذى يبلغ عدد أتباعه ملايين داخل الامبراطورية الرومانية وملايين خارجها فى الشرق والغرب معاً؟ ... لقد كانت هنالك حاجة يجب أن تلبى وجاء الاسلام ملبياً إياها. لقد كانت تلك الحاجة دينية فى الأساس لكن السياسة قد غطت عليها. لقد لوحظ أن العرب كانوا فى ريبة من اليهودية والمسيحية معاً بسبب غلبة المطامع السياسية عليهما. ويمكن أن يقال إن محمداً كان إجابة الشرق ضد تحدى الأسكندر الذى اجتاح الشرق الأوسط غازياً مع ما صحبه من موجة من التأثير الاغريقى.[١] وقد انتقل الصراع بين التأثير الاغريقى والشرقى إلى المجال الدينى.

حقاً لقد كانت المسيحية ديانة شرقية غزت أوربا لكنها هنالك ضمنت (لغمت amalgamated) خلفية إغريقية[٢]. وبتعبير آخر بينما

---

(١) معنى هذا أن واط يرى أن الاسلام ليس أكثر من حلقة فى سلسلة الصراع بين الشرق والغرب، ولعله يشير هنا إلى نظرية توينبى فى التحدى والاستجابة Challenge and Response) وبهذا يسلخ منه ربانيته وأنه وحى يوحى، وبهذا لا يكون محمد صلى الله عليه وسلم إلا تعبيراً عن تحدى الشرق للغرب، وليس رسولاً إلى الناس كافة، ورحمة للعالمين.

(٢) يقر هنا " واط " بما هو معروف أن الديانة المسيحية التى انتشرت فى أوربا ليست هي التى جاء بها عيسى بن مريم عليه السلام، ولكنها الديانة التى لغمها أوضمنها القديس بولس الطرسوسىبخلفية إغريقية فلسفية وثنية (انظر كتاب: Christianity and Hellenism)

عبرت المسيحية عن تقاليد العهد القديم (Old Testament) بصياغة مناسبة للحاجات الروحية والتصورات العقلية لمعظم طبقات مواطني الامبراطورية الرومانية، لم يحدث شيئ مشابه في المسيحية بتقديم تعبير للتقاليد المسيحية اليهودية Judaeo-Christianity لسكان الشرق الأوسط.

لقد كان الاسلام قادراً على تلبية الحاجة التى لم تف بها المسيحية؛ تلك الحاجة الملحة للشعوب الشرق الأوسط الناطقة بغير اللغة اليونانية إلى التعبير عن التقاليد الابراهيمية بنفس تصوراتهم العقلية(١)· ولم يكن محمد فى وضع يسمح له بالتنبؤ لكل ما ستتطور إليه تعاليمه فى المستقبل، لكنه استطاع أن يرى فى زمانه حاجة العرب إلى التعبير عن التقاليد الابراهيمية بنفس مقولاتهم، وبدون اقحام للسياسة فى ذلك (٢)"

---

(١) يعود " واط " فيؤكد أن الاسلام لا يناسب إلا شعوب الشرق الأوسط

W. M. Watt, Islam and the Integration of Society, PP. 268 - 9 (2)

" There was great audacity in the claim of a citizen of obscure Mecca that he was founding a religion parallel to Judaism and Christianity. How could a man who had only 300 followers at the battle of Badr in A.D. 624 put himself on the same level with Jesus whose followers then numbered in the millions of the Roman empire and the millions outside of it in both east and west? This would seem to be an undue exaggeration of his importace.

Nevertheless a case can be made out for holding that this conception of parallelism was not ideological. There was a need to be met and Islam met this need. It was fundamentally a religious need but politics was involved. It had been noted that the Arabs were suspicious of both Judaism and Christianity because of their political implications. Muhammad, it has been said, was the answer of the east to the challenge of Alexander whose conquest flooded the Middle East with a wave of Greek influence. The struggle between Greek and oriental influences had been transferred to the religious plane. Christianity, an oriental religion, had invaded Europe but there it had become amalgamated with the Greek outlook. In other words, while Christianity expressed the Old Testament tradition in a form which suited the

intellectual categories of most classes of the===spiritual needs and citizens of the Roman

1939 - 2 vols

ثم يقدم "واط" مثالاً على عقيدة المسلمين الراسخة فى تحريف التوراة بقصة الذبيح التى وردت فى القرآن الكريم واجتماع المفسرين المسلمين على أنه كان اسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، ثم يؤول انفراد الطبرى المفسر فى قوله إنه إسحاق بأن الطبرى كان من الفرس الذين يعتبرون أنفسهم إلى جانب اليهود أنهم أبناء إسحاق؛ فى مقابل الحزب العربى من المسلمين الذين هم أبناء إسماعيل، يقول "واط": " والمثال الطريف على قوة عقيدة تحريف أسفار الكتاب المقدس متضمن فى تفاسير قصة تضحية إبراهيم بابنه، ذكرت هذه الواقعة فى القرآن فى السورة رقم ٣٧ : ١٠٢ ـ ١١٠ لكن اسم هذا الابن لم يذكر، ومن المفترض أنه لا سبب معقول لكى يفترض كل واحد ابتداءً أن الذبيح لم يكن إسحاق.

وبمرور الوقت أصبحت هذه المسألة مثار تجاذب بين المسلمين المتنافسين من عرب وعجم وفرس، فاعتبر إسحاق جد الفرس واليهود معاً... وكثير من النصوص التى ساقها الطبرى مبكراً بينت أن الذى أخذ للذبح فى التوراة (العهد القديم) هو اسحاق؛ وأن الطبرى الذى كان

---

empire, nothing similar was done to provide an expression of the === Judaeo-Christian tradition for the inhabitants of the Middle East. Islam was able to meet a need which Christianity had not met, the need of certain of the non-Greek-sppeaking peoples of th Middle East for an expression of the Abrahamic tradition in their own intellectual categories. Muhammad was not in a position to foresee all this future development of his teaching but it could be seen in his time that the Arabs were in need of an expression of the Abrahamic tradion in their own intellectual categories and without political implications.

ينحدر من أصل فارســى كان يفضل هذا الرأى . أمــا الحزب المنـاصر للعرب فقد أجاب بأن هذا موضـع مـن مواضـع تحريـف التـوراة. وفـى النهايـة انتصر الحزب المؤيد للعرب وأصبح اليوم اعتقاداً عامـــاً بيـن المسلمين أن ابــن إبراهيم الـذى كـان علـى وشـك أن يضحـــى بـه هـو إسماعيل . وبهـذه الطريقــة فـإن وجهــة النظـر التــى تبناهـا العـرب وأيدوها، وكانت مؤيدة كذلك بعقيدة تحريف التوراة فى هذا الموضـوع، قد تغلبت على التفسير الطبيعى للقرآن طبقاً لما جاء فى أسفار العهد القديـــم. وليس مـن المبالـغة فـى القـول أن نذكر أن عقيـدة تحريـف التوراة قد سيطرت على عقول المسلمين لدرجـة أنهم لـم يأبهوا كثيراً إلى ما إذا كانت تفاسيرهم للقرآن مطابقة للتوراة والإنجيل أم لا. "(١)

فالمستشرق "واط" يفترض علـى المفسـر أن ينظـر فــى التـوراة والإنجيل ليستمد منهمــا تفسيره الطبيعــى للقرآن، وإن لـم يفعــل فـإن تفسيره حزبـــى متعصب للعرب مـن جهـة، وغير طبيعــى مــن جهـة أخرى، وهــذا ليـــس مستغربــاً من "واط" فانظر ما كتبـه فى بحثيـــــه:

The Missionary Task of the Church in Syria and Palestine, Int. Rev of Mission, 36-62 1947.

The Church in The Muslem World, S . W . Geneva , 1948.

---

(١) M. Watt , Ibid , PP. 264-5

"An intersting example of the strength of the dogma of "corruption" is contained in the interpretations of the story of Abraham's sacrifice of his son. The event is mentioned in the Quran (XXXVII; 102-110) but the son's name is not given. There is no reason for supposing that to begin with, anyone would suppose that the son was not Isaac. In the course of time, the question became intertwined with the rivalry between the Arabs and the Persians. Isaac came to be regarded as the ancestor of the Persians as well as the Jews.... Many of the early authorities quoted by al-Tabari knew that in the old Testament, Isaac was taken for the

sacrifice

ويأتـى واط إلى القول بعدم صلاحية الشريعة الاسلاميـة لحاجات العصر؛ " ثـمة محاولـة جرت حتـى الآن تشير إلـى بعض الوظـائف الايجابيـة للشريعة باعتبارهـا وسيلة للوحـدة الاجتماعيـة الاسلاميـة، لكن السؤال الذى يجب أن يسأل هـو عن الوظـائف السلبية للشـريعة، وعما إذا كانت تؤدى وبأى طريق إلى تمزق المجتمع الاسلامـى. لكـن الطبيعة المميزة للشريعة على أنهـا أمر خـارق معجز يخلق صعوبـات للـدول الاسلاميـة التـى تحـاول فـى الوقـت الحـاضرر إقامـة مؤسسـات عصريـة على أسس من الشريعة. ولأن الشريعة لم تكن قانونـا عمليـاً تطبيقيـاً حتـى فى دولـة العصور الوسطى للاسلام فإن من العسـير جـداً مواءمتها أو صلاحيتها لحاجات اليوم."(١)

---

and al-Tabari, himself of Persian origin, prefers this view. The Pro-Arab party replied that this wasa place where the scriptures had been corrupted. In the end, the pro-Arab party won and it is now universally held by Muslims that the son Abraham was about to sacrifice was Ismail. In this way, a view which honoured the Arabs and which supported and was supported by the dogma of "corruption" overcame the natural interpretation of the Quran in accordance with the Old Testament. It is not too much to sqy that the belief that the Bible was corrupt had so come to dominate the minds of muslims that they no longer cared whether their interpretions of the Quran were in accordance with the Bible or not. (pp. 264-265).

(١) M. Watt, Ibid, PP. 207 - 208

"So far, an attempt has been made to indicate some positive functions of the Sharia as an instrument for Islamic social integration but now it must also be asked whether it has any negative functions and whether it contributes in any way to the desintegration of Islamic society. This peculiar nature of the Shariah as the mark of charisma creates difficulties at the present time when Islamic states try to frame modern constititions on the basis of the Shariah. Since the Shariah was hardly a practical code even for a medieval state it is extremely difficult to adapt it to the needs of today.

__ See also; An Introduction to Mohammadan Law and Bibliography, by Nicolas P. Agnides, SMP 1981 Lahore.

ولأن الشريعة - عند المستشرقين لم تعد ملبيــة لحاجات العصر - فإن Philip Hitti يبشر بتحديث العالــم الاسلامـــى عن طريق اعتمـاد العلمانيـــة القاضيـة بإقصاء الاعتقـاد فـى العنايـــة الإلهيـــة منهجـاً و سبيلاً، يقـول فـى كتابـــة: "Islam and the West, An historical, Cultural Survey, Princeton, 1962"

"التحديـــث علـــى المســتوى العقلـــى الروحـــى يتطلـــب العلمانيـــة؛ العلمانيـة التى تعنـــى أكثر من الفصل بين الدولــة والكنيسـة, إنهـا تحـل تفسير الأحـداث التاريخيـــة والوقـائع الجارية للفـرد تفسـيراً عقلانيـاً مؤسسـاً علـى القـوى والعوامـل الماديـــة والنفسيـــة، محـل تفسـيرها بالعنايـة الإلهيـــة. ومـن النـادر أن تصـادف اصداراً لصحيفـــة عربيـة سيارة تفتقر إلى تكرار ذكر اسم الله فى مصـدر تقاريرهـا عن الـولادة والموت، عن الصحـــة والمـرض، عـن الحـظ والتعاســة، عـن النجـاح والفشل - إنـه بقية من التفكيـر البالـــى."(١)

أما المستشرق المعروف Dr. Wilfrid Cantwell Smith فيتحدث عن ثلاثة أنواع متباينة من الاسلام هي: ديـن القرآن ، دين العلمــاء ، ودين الجماهيـــر. ويمتدح تركيـا الكمالية لأنها ألغـت النوع الثانــى

---

(١) Philip Hitti, Ibid, P. 93

" Modernization on the intellectual-spiritual level involves secularization. Secularization means more than separation between church and state. It replaces providential interpretation of historic events and current happenings to the individual with rational interpretation based on physical and psychological forces. Hardly a current issue of an Arabic newspaper lacks repeated mention of the name of Allah in connection with reports of birth and death, sickness and health fortune and calamity. success and failure-a relic of bygone thinking."

من الديـن، وأصبحت بذلك رائدة للعالم الاسلامـى كله، يقول (سميث): هنـالك ثلاثـة أنـواع مـن الاسـلام؛ ديانـة القرآن، وديانـة العلمـاء، وديانـة الجمـاهير. وهـذا النـوع الأخيـر ـ إسـلام الجماهيـر ـ إسـلام خرافـى أسطورى ضبابـى وتقديس أعمـى. والنـوع الثانـى مستغرق تمامـاً فى شريعة ما قبل العصر.... ولقد تخلصت تركيا الكماليـة مـن النوع الثانـى للاسلام تمامـاً، ولقد كان الوقت مواتياً لمحـوه، ونحـن ـ بهذا ـ قد قدمنـا الطريق أمام العالم الاسلامـى، الاسلام الذى يحتاج إلـى اصلاح، وتقف تركيـا فى مقدمـة الصفوف فـى العـالم الاسلامـى فـى مجال الاصلاح الدينـى."(١)

ثم يؤكـد ولفريد سميـث على إحلال مؤسسات جديدة أكثر مواءمـة للظروف المعاصرة محل تلك المؤسسـات الاسلاميـة. ويؤكـد علـى أن الاسلام كان تقدمياً لوقتـه، لكـن الزمـان والظـروف قـد تغيرت اليـوم على نطاق واسع... ولكـى يكون الاسلام مفهومـاً ومقبـولاً مـن الطبقـة المثقفة عليه أن يعيد النظر فى أطروحاته تمامـاً بطريقة حديثـة."(٢)

---

(١) Wilfred Cant Well Smith, Islam in Modern History, Princeton University Press 1957 .

" There are three Islams: the religion of the Quran. the religion of the ulema and the religion of the masses. This last is superstition, obscurantism. fetishism. The second is bogged down with the whole weight of out-of-date legalism– impossible stuff making it nesessary to get a Fatwa before one can have one's teeth filled by a dentist. Turkey has got rid of the second. It was time to abolish it. We have thus led the way of the Muslim world. Islam needs a reformation. To this extent Turkey is in the forefront of the Islamic world."

(٢) W. C. Smith, Ibid, P. 178

" More controversially, this spirit can be detected in suggestions or assumptions that the institutions of Islam can and should be replaced with new ones more in tune with contemporary conditions.

Already during the 1920's radical changes in the rites and is the decision arising from ==================================

ثم يدلف إلى نقطة أخرى يرى فيها أن الشعوب المسيحية في أوربا وتركيا تقرر مصيرها ومصير شعوبها بنفسها خيراً أم شراً، وهذا خلق وابداع قد يكون حسناً أو سيئاً؛ لكنه على كل حال نوع من الابداع. والمبدع الخلاق أفضل - من كل وجه - من ذلك الذى لا يبدع ولا يخلق.. وإن أردنا أن نميز بين أولئك الذين يبدعون والذين لا يبدعون، ولا يعرفون الابداع، بل ولا يقبلونه، فيبدو أنه من غير الملائم أن يقال إن المتدين أو المسلم وحده هو غير المبدع.(١)

ويطرق الدكتور Kenneth Cragg مسألة تغير الزمان وتغير ظروف المجتمع، وبالتالى يجب إعادة النظر فى الأحكام والتعاليم الاسلامية على ضوء ذلك، ويقدم مثالاً على ذلك تحريم الوثنية والصور والتماثيل و ما إليه فى بداية الاسلام؛ لأن العرب كانوا شديدى التعلق بعبادة الأصنام والأوثان، ثم انتشر التوحيد وسيطر وتمكن من القلوب والعقول، فلم يصبح لتحريم الصور والتماثيل والأصنام مغزى، خصوصاً إن كان يحرم الفنانين من الإبداع والخلق فى مجال الفنون

---

observances of Islam including its prayer ritual and mosque ======
services were being officially discussed. The kemalists are prepared to consider such proposals seriously. Islam was progresaive for its time but times and conditions have meanwhile changed. The logic through which orthodoxy was earlier expressed has ceased to be an accepted mode of thought and ceased to be an effective instrument of communication. Therefore, they feel if Islam or any other religion is to make itself understood, let alone acceptable to educated men, its propositions will have to be formulated in quite a new way.

(١) W . C . Smith, Ibid , P . 181

"People in Western Christendom and in Turkey and incipiently now throughout, the world are determining their own and their nations future for good or ill. They may be bungling; that is, creating badness. But that is vitally different from not being creative at all. While one may wish to distinguish between men who do not know it and do not accept it, it would seem inept to call religious or Muslim only the uncreative.
See also Modern Islam in India, By W.C. Smith, Lahore, 1969.

على المسلمين أن يعيدوا النظر فى هذا الشأن.(١)

ويعود المستشرق ويلفريد كانتويل سميث فيقترح علينا ما يجب علينا أن نفعله كى نصلح ديننا ونجدده(٢). ثم يقول إن أى مجموعة تريد أن تصلح الاسلام علينا أن نسألها على أى سلطة تقيم مقترحاتها؟ فالاصلاحات الكمالية فى تركيا قد استندت إلى ثورة أتاتورك؛ هذا الحدث العظيم الذى كان بمثابة ميلاد جديد لتركيا، الذى انتشلها من الانحطاط والضعة إلى القوة والعزة(٣)... فالأتراك يشبهون الغربيين المعاصرين..، انهم شعروا أنهم صانعو مصائرهم والمسئولون عنها.(٤)

---

(١) Dr. Kenneth Cragg, The Dome and the Rock; Jeruselem Studies in Islam, London, 1961, P. 138.211

وانظر للمؤلف كذلك كتابيه : "The Call of Minaret, Oxford, 1956, P. 325 –

1965, P. 9 Islamic Survey, Edinburgh .

– 107

"Even supposing, as the argument runs, the prohibitions in the Quran and Hadith as they have been interpreted are valid, times obviously change : they change, indeed because of the very success of Islam. A society like that of the Hijaz in the Prophet's day, was so prone to idolatry that only the most ruthless prohibitions would suffice. With Quraish, nothing would abvail but a total and such mushrikin as the absolute veto on pictures of living beings. It would, however, be folly to treat a Muslim society today after enturies of Islamic tauhid with the same stupid severity.

Such a policy would be equivalent to saying that Islam had failed and that no Muslim could be trusted not to take a picture for an idol.* A ban, once necessary, can be safely lifted : to dispute it would seem to disqualify Islam itself. (p. 131)... The Muslim fear of idolatry is always sound. But the security against it is not in the banning of artists any more than God's unity is safeguarded by vetoing the Inearnation of Christ into man. It is a true recognition of Him in undivided love. That love may include unashamedly the help and benediction of the senses

---

and the arts".

D. W. C. Smith, Ibid, P.. 307 - 8 (٢)

Ibid, P. 190 (3)

Ibid , P . 180 (4)

ثم ينادى المستشرق اليهودى (Goitein) بضرورة إحلال العاميات المحلية محل لغة القرآن الفصحى؛ لأن اللغة العربية الفصحى غير قادرة على مواجهة حاجات المجتمع الحديث.(١)

ضل بعض هؤلاء المستشرقين وأضلوا جيلاً كثيراً، فقالوا إن القرآن معوق للفكر مقيد لحريته(٢) وأن المسلمين تلقوا فيه أحكاماً ولم يتلقوا فيه عقائد(٣) وأن النظر العقلى العربى كان محاولة لإصلاح القرآن وتكميله فى الجانب الذى قصر فيه(٤) .. ويرى (جيوم) أن من العسير أن نقول إن القرآن قد قدم إلى المؤمنين المادة اللازمة لتكوين مذهب فى فهم الله"(٥)

---

(١) S. D. Goitein, Jews and Arabs, New York, 1955, PP. 43- 45 , 133 - 134

" In Western Europe, the surrender of Latin to Local languages and" the rise of national vernaculars marked the transition from medieval to modern times. The Arab countries are in a similar situation. The difference between the classical literary language and the colloquial - even that spoken by the most educated persons - is immencse with all the negative effects of such a dualism on literature, spiritual development in general and even on morals.

Twenty years ago it seemed that Egypt would actually do something about this grave problem and I venture to surmise that if at that time Egypt had been a really independent state whith some outstanding creations - not only some pleasant collections of short stories - available in the local vernacular, we would have had today a national Egyptian language which would have done away with that linguistic dualism that is so detrimental to the Arab mind. (PP. 133 – 134)

(٢) هذا رأى تنمان .

(٣) هذا رأى دى بور فى " تاريخ الفلسفة فى الاسلام" ص ٦٦، ترجمة د. أبو ريدة، طبعة القاهرة ١٩٧٠م .

(٤) هذا رأى Munk .

(٥) مرجع سابق ص٢٧٨ ويمكن للقارء الكريم أن يراجع بحث المستشرق ايرنست باركر Barker أستاذ السياسة بجامعة كمبردج فى (تراث الاسلام) الجزء الأول ـ ليرى ما فيه من تعصب وغلو .

وفند كل من الشيخ مصطفى عبد الرزاق فى " تمهيده لتاريخ الفلسفة الاسلامية "، والدكتور محمد عبد الهادى أبو ريدة فى تعليقاته على كتاب (دى بور) والدكتور البهى فى "الفكر الاسلامى وصلته بالاستعمار الغربى" والدكتور محمد مصطفى الأعظمى فى (دراسات فى الحديث النبوى) والشيخ عبد الجليل عيسى فى كتابه (صور استشراقية) وعباس العقاد فى (حقائق الاسلام وأباطيل خصومه) و(ما يقال عن الاسلام) والدكتور مصطفى السباعى فى (السنة ومكانتها) و ادوارد سعيد فى (الاستشراق) والدكتور زقزوق فى (الاستشراق) و (الاسلام فى الفكر الغربى) ـ فند هؤلاء وغيرهم ـ بعض مزاعم المستشرقين تفندًا علمياً منهجياً.

وخلاصة القضية أن كثيراً من هؤلاء المستشرقين قد تواطئوا على دراسة الاسلام بمنهج معوج أشد ما يكون الاعوجاج، قدموا الاسلام فى صورة كريهة مشوهة لمواطنيهم، فسمموا عقولهم وأفسدوا مشاعرهم تجاه الاسلام... هذا من ناحية..، ومن ناحية أخرى واتت ظروف كثيرة وتضافرت فى أن تجعل لهم تلاميذ مخلصين من أبناء المسلمين أنفسهم، يحملون رسالتهم، ويسيرون فى الشوط إلى غاية مداه... وقد مكن الاستعمار لهؤلاء التلاميذ فى أرض الثقافة والاعلام والتربية والتعليم والاقتصاد والقضاء والأمن والسياسة والحكم.. إلخ فى بلادهم الاسلامية، فساقوها سوقاً نحو الغرب، وحملوها حملاً على أن ترد أسوأ موارده وأخسها .. عمل هؤلاء على سلخ العالم الاسلامى ـ بقصد وبدون قصد ـ من هويته وأصالته وذاتيته وخصائصه، ومن ثم ضاع الطريق من تحت أقدامه، لأنه لم يصبح غربياً، ولم يبق شرقياً

كما كان .. وإنك قد تقرأ لبعض تلاميذ المستشرقين بحوثاً وكتباً فيصعب عليك أن تحدد ما إذا كانت لمستشرق أو مستغرب.. فالمنهج المتنكب للصراط السوى هو هو، والقضايا المثارة هي هي !! مثل قضية تطوير الشريعة، وإصلاح نقصها، وفصل الدين عن الحياة، وتطوير اللغة العربية... وتركيز الإحساس بالعجز فى نفوس المسلمين، وعدم صلاحية دينهم للعصر وعدم مواكبته لتطوره إلخ.

"حتى يترسخ فى وجدان المسلم أنه لا يستطيع أن يعيش عيشة عصرية راقية وهو يتمسك بالشريعة، وأن الاسلام إذا كان صالحاً لمواجهة حالة البداوة، فإنه غير قادر على مواجهة العصر الحاضر بتعقيداته وظروفه المركبة، ومن ثم على المسلم أن يختار بين الدين والحضارة الغربية، وما يؤدى إليه أحدهما من جمود، وما يؤدى إليه الآخر من تطور ومدنية.....

"ولا شك أن انقطاع المسلمين ـ فترة طويلة ـ عن ممارسة الاجتهاد، وتراكم عديد من الظواهر والمشكلات التى تنتظر الحل الاسلامى لها، كان من العوامل التى تستغلها هذه البحوث لزرع اليأس والقنوط، ودفع المسلمين إلى التخلى ـ ولو جزئياً ـ عن الاسلام، وكانت هذه الآثار والنتائج تلقى بظلالها الثقيلة على مفكرى الاسلام الذين انشغلوا بالبحث عن سبل النهضة الاسلامية وإقامة المشروع الحضارى الاسلامى"(١)

---

(١) د. مذكور ص١٥٣

إنجازات المستشرقين

إنجازات المستشرقيـــــن

بذل المستشرقون جهوداً ضخمـــة مضنيـة فى دراسة الاسلام ولغتـه وآدابــه وعقيدتــه، وتاريخه، وقرآنه وسنته، وحضارتـه، وأعلامـه .. إلخ وألفوا كتباً وقواميس ودائرة معارف، وحققوا مخطوطات، وعقدوا مؤتمرات كثيرة للتدارس فيما بذلوه وما ينبغى أن يقوموا به من عمل.

ومهما يكن من شيئ فإن الدارس المنصف لا بد أن يقف مندهشاً أمام هذه الجهود الكثيفة المتكاملة المتضافرة المؤثرة إلى أبعد حدود التأثير للمستشرقين، كذلك حرصهم ودأبهم ومثابرتهم علـى تجميـع المخطوطات الاسلاميـة بكل الطرق وترتيبها وفهرستها والتعريف بها وتحقيق الكثير منها.. ولا بد أن نعترف أن كثيراً من هذه المخطوطات ما كان لنا أن نعرفها إلا بواسطة بعض المستشرقين، بل ربمـا مـا كـان لها أن تبقى حتى اليوم لولا عنايتهم بها ورعايتهم لشأنها.

وإن ما أثمرت جهودهم من مثل تفصيل آيات القرآن الذى تمخضت عنه فكرة المعجم المفهرس للقرآن الكريم، وكذلك المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى لأمر غير منكور. أما دائـرة المعارف الاسلاميـة التى وضعوها فإنها لا تزال عمدة الدارسين من العلماء والطلاب على ما بها من اضطراب وقصور .. ويؤسفنـى أن أقول فى هذا المقام: إن جامعاتنا ومؤسساتنا ومراكز بحوثنا ـ على كثرتهـا ووفـرة إمكانياتهـا ـ قد عجزت وفشلت فى وضع البديل الذى يضارعها أو يسد مسدها، ومن الثمرات غير المنكورة للجهد الاستشراقـى أنـه حفز كثيراً من العلماء الأجلاء إلى الاستجابــة لهذا التحدى الكبير، ودراســة تراثنـا دراسة عميقة واعية للتعرف على مـا ينطوى عليـه من عوامل القوة وموجبـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــات

الرقــى والتقدم وحسنات الأخلاق، وفضائل القيم من ناحيــة، ولمقاومة الهجمة الاستشراقيــة الشرسة من ناحية أخرى. تلك ثمرة عظيمة غـير مباشـرة للاستشـراق تحققـت... كمــا أن المستشــرقين قـد طرقــوا موضوعات جديدة ...، وفى بعض الأحيـان طريفـة لـم تكـن معروفـة أو مألوفــة، فلفتوا أنظار الباحثين المسلمين إليهـا، وشـحنوا هممهـم إلـى العناية بها واستثمارها وتطويرها.

وبــعد: فـإن آراء المستشـرقين وافتراءاتهم قد راجـت وانتشـرت، وسـاعد علـى ذلـك تكـامل جهودهـم، وامتلاكهـم أدوات التـأثير، وهيمنـة الحضارة الغربية على العالم اليوم، كما ساعدهم تفرق جهـود البـاحثين فى الشرق الاسلامــى، وضعف مكانة الأمم الاسلاميــة فى عـالم الفكر والسياســة، واقتناع كثير من أصحاب المكانــة منهـم بـالنمط الغربــى للحضارة(١)

---

(١) د. مدكور ص١٦٤ وانظر مقدمة هذا الكتاب

المستشرقون والنظرة الاستعلائية العنصرية

الاستشراق والنظرة الاستعلائية العنصريـة الغربية

يبقـى أن نشير إلـى أن الاستشراق فـى منطقـه المتعالـــى ينسـجم تمامـاً مع نظرة الاستعلاء والعنصريـة الغربيـة... فالغرب كان - منذ الاغريق والرومان وحتـى اليوم - يرى نفسه معدن الحضارة، ومركز العالم، والجدير بالسيطرة والتفوق... يرى نفسـه السيد والشعوب الأخرى همجاً وبرابرة أو حتـى رقيقـاً، ولقد تمكنت نظرة الاستعلاء فى الانسان الغربـى حتـى أضحت بمثابة الغريزة المركوزة أو الجبلة الثابتـة، وقد بررها لهم بعض كبـار فلاسـفتهم مـن لـدن أفلاطـون وأرسطو.. إلى نيتشـه ورينان وجوزيف آرثر جوبينو، ولان، وجوتيـه، وبروهيـه، وكـوزان،.. وقد كـانت النظـرة العنصريـة (Racialism) الغربية السبب البعيد وراء معاناة الانسانية بصورتها الأليمـة البشعة حتى يوم الناس هذا.

وقد حـاول كـل مـن أفلاطـون و أرسطو تقديم سند فلسفى للنزعـة الغربية المتعصبة المستعلية، قال أفلاطون فـى كتـاب " الجمهوريـة " - وهو من أهم ما كتب إن لم يكن الأهم - : " أ ليس من الدقـة أيضاً أن نقول إن الشعوب اليونانيـة تجمعها رابطـة القرابـة ووحـدة الأصـل، وتختلف عن البرابرة فـى الجنس والدم؟ هذا صحيـح !! فـإن قـاتل اليونـانيون البـرابرة ، أو البرابرة اليونـانيين، فعندئـذ نقـول : إن بيـن الفريقين حربـاً، وأنهمـا بطبيعتهمـا أعداء ... ولكن ألـن تكـون الدولـة التى نريد تشييدها دولة يونانيـة؟ هذا ضرورى "(١) ثم يقيم دولته على

---

(١) أفلاطـون : الجمهوريـة، ص ٣٦٢ - ٣ مـن نشـرة الدكتـور فـؤاد زكريـا، نشـر الهيئة المصرية العامة للكتـاب .

أساس طبقى عنصرى؛ ويعمق تأكيد التفاوت العرقى الطبيعى بين البشر تحت شعار : أداء كل لوظيفته الطبيعية " " والعمال ـ عنده ـ من أى نوع كانوا ـ من أفراد القطيع أو الدهماء، وهم بحكم تعريفه لهم: بهائم منحطة التفكير، تريد أن تملأ بطونها، لها رغبات وليس لها مثل عليا "(١)

كما فلسف كل من سقراط وأفلاطون العبودية والرق على أنه ظاهرة طبيعية، فإن هناك أناس ولدوا ليكونوا أرقاء، وأن الرقيق يستحق مصيره لأنه لا يصلح إلا لــه "(٢)

وإنى لأقدر موقف الدكتور فؤاد زكريا المنصف الذى عبر عنه بقوله: " أليس لنا أن نشك فى قيمة وجدية كل مذهب أخلاقى يكون الرق عنصراً أساسياً فيه، ومبدأ يبرره المذهب عن وعى ... هذا تجاهل للكرامة الانسانية فى أول وأهم مقوماتها "(٣)

ويدين جورج سارطون الفيلسوفين ــ أرسطو وأفلاطون ــ لأنهما اعتبرا أن المتبربرين ـ أى غير اليونانيين ـ من جنس أدنى، وأنه من الصواب شهر الحرب عليهم، واستئصال شأفتهم، واسترقاقهم، وأن اليونانيين ولدوا أحراراً، والمتبربريين ولدوا عبيداً ... ومما يذكر للأسكندر الأكبر بالتقدير أنه استطاع أن يرتفع بنفسه عن مستوى

---

(١) جورج سارطون : تاريخ العلم جـ ٣ ص ٣٨ ط ٣ ترجمة الدكتور توفيق الطويل نشر دار المعارف.

(٢) مقدمة الجمهورية ص ٨٧ وقد ربط سقراط بين العبيد وبين الأرض والعقار بوصفهم مصادر للدخل الذى يأتى بلا عمل.

(٣) مقدمة الجمهورية ص ٩٣ .

أستاذه أرسطو. "(١) ويقول سارطون : " أدرك الأسكندر ما لم يدركه أفلاطون وأرسطو، وهو امكان قيام وحدة بين جميع البشر... وأن أقوى دليل على فضل الأسكندر وعبقريته استطاعته وحده التغلب على ميول أفلاطون وأرسطو الخبيثة.(٢) " فى العنصرية والاستعلاء واسترقاق الشعوب .

أما برتراند رسل فيقول : " لقد أخطأ اليونان خطأً فاحشاً حين أحسوا شعور السيادة على الشعوب البربرية ـ غير اليونانية ـ ولا شك أن أرسطو قد عبر عن فكرتهم العامة فى ذلك الحين فقال: " من الخطأ أن يتخذ اليونان عبيداً، لكن ذلك عندهم جائز بالنسبة للشعوب البربرية، لأن اليونانيين وحدهم الذين يجمعون بين التحضر وشعلة الحياة التى تملؤهم "(٢)

وعن الاستعلاء الغربى فى العصر الحديث يحدثنا الدكتور ألبرت حورانى عن المستشرق الفرنسى المعروف Ernest Renan " وهو واحد من أهم المستشرقين الذين أثروا فى تكوين أفكار الغرب تجاه الاسلام" :

" E. Renan, one of the seminal figures in the formation of European idea about Islam "

" أقر رينان أن العالم ينقسم إلى قسمين كبرين هما:(Semites) و (Aryans) وأن الجنس السامى قدم التوحيد والمسيحية والاسلام الذين

---

(١) (٢) تاريخ العلم حـ ٣ ص ١٧٨ ، ١٧٩

(٣) برتراند رسل : تاريخ الفلسفة الغربية ح١ ص ٣٥١، ٢٨٤، ٢٩٥، ترجمة الأستاذ زكى نجيب محمود، ومراجعة الأستاذ أحمد أمين، طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٦٧ القاهرة .

فتحا العالم، لكن هذا الشرق لم يقدم للحضارة الانسانية شيئاً يذكر أكثر من ذلك مثل: الأساطير، والأدب الرفيع، والفنون، بسبب البساطة المريعة للروح السامية، التى أغلقت العقل البشرى دون فكرة دقيقة، أو عبارة فائقة، وأمام كل ضروب البحث العلمى؛ ... لذا فهى قد منعت التقدم العلمى.. ويكرر رينان أطروحته هذه فى محاضرة له بعنوان: (الاسلام والعلم) فيقول : " كل شرقى وافريقى وجد نفسه مغلولاً تماماً بطوق حديدى ضرب على رأس كل مؤمن، وسد أمامه طريق العلم كلية، ولم يفتح أمامه القدرة على انتاج أية فكرة جديدة.

بيد أن الروح الآرية هي التى ابدعت كل جديد؛ فى السياسة بمعناها الحقيقى، والفن، والآداب التى لا يملك الساميون منها شيئاً على الاطلاق (باستثناء شيء يسير من الشعر) فضلاً عن العلم والفلسفة .

وبهذا الخصوص نحن اغريقيون تماماً، وحتى ما يسمى بالعلم العربى لم يكن أكثر من امتداد العلم الاغريقى، الذى لم ينقل بواسطة العرب، لكن نقلته كانوا من الفرس والاغريق المرتدين إلى الاسلام، ويقال كذلك: إن المسيحية فى تطورها الجديد إن هي إلا صناعة أوربية .

ومستقبل البشرية ـ لذلك ـ مرهون بالشعوب الأوربية وحدها، وهنالك شرط ضرورى لتحقيق هذا الهدف، ألا إنه تحطيم العنصر السامى (الشرقى) فى الحضارة، وتدمير قوة الاسلام الثيوقراطية.. ولم يكن هوى رينان مع العالم الاسلامى، بل مع الكنيسة الرومانية والقديس سلبيوسى "(١)

---

(١) A. Hourani, Islam in European Thought, PP. 28 - 29 وانظر:

H. Wardman, E. Renan: A Critical Biography, London, 1964 PP. 46-47

ويؤكد الأستاذ الأكبر مصطفى عبد الرزاق نزعة التعصب الغربية هذه قائلاً: " أما التعصب الجنسى على العرب الذى تبدو له بوادر فى كلام (تنمان) فقد كان أيضًا روح العصر، ولم يلبث ارنست رينان الفيلسوف الفرنسى المتوفى ١٨٩٢م أن زخرف له لباساً علمياً من أبحاثه فى تاريخ اللغات السامية، ثم جعله حملة شعواء... وشاركه فى حملته تلك المستشرق الألمانى كرستيان لاسن Ch. Lassen "(١) وكذلك جوتييه وبرهييه(٢).

"ثم جاءت نظرية التفوق النوردى ـ شعوب أوربا الشمالية ـ وهي فرع من نظرية التفوق الآرى ـ التى تحيا فى ألمانيا لهذا العهد ـ التى تزعمها جوزيف آرثر جوبينو، الذى يرى أن الشعوب الآرية وحدها دون غيرها هي التى خلفت كل ما له قيمة فى الحضارة، وحافظت عليه...، وأسندت إليها جميع الفضائل، وقيل إنها منبع جميع الحضارات العالمية من قديم الزمان إلى حديثه ... إلخ "(٣)

ويذكر جوج سارطون مرة أخرى: " أن الزعم بأن الثقافة الغربية المستمدة من الأصلين الاغريقى والعبرى، أرقى الثقافات، فيه خطر وشر، وهذا الزعم هو المحور الرئيسى للمتاعب الدولية فى العالم!"(٤)

---

(١) الشيخ مصطفى عبد الرازق، تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية، ص ٩ ط ٣ ، مكتبة النهضة المصرية .

(٢) المرجع السابق ص ٢٢ .

(٣) المرجع السابق ص ٢٩/٢٨ .

(٤) جوج سارطون، تاريخ العلم حـ١ ص ٢١ ـ ٢٣ ، طبعة ١٩٧٩م وانظر ص١٢٢ ومواضع أخرى. وانظر ما كتبه الدكتور توفيق الطويل فى كتابه، (أسس الفلسفة) ص٤٤ الطبعة السابعة.

ولا يمكننا أن ننسى للغرب ممارسته العدوانية؛ بصورها المتعددة والمتنوعة... التقليدية منها والمبتكرة... ومن بينها السيطرة على شعوب العالم الثالث (البرابرة)[١].

---

(١) عن طريق الديون؛ فقد أعلن السيد حسني مبارك بمرارة وأسف أنه يأخذ من الغرب خمسة مليارات فيطلب منه الأخير ردها أكثر من عشرين ملياراً من الدولارات، وبالأمس أعلن السيد شيفرنادزه في الأمم المتحدة: أن الغرب يغتال آمال وتطلعات التنمية والحياة لشعوب الدول الفقيرة، وأعلن أن الغرب قدم للدول الفقيرة عام ١٩٨٨م قروضاً تبلغ خمسين ملياراً، وقد سددت هذه الدول الفقيرة في نفس السنة ثمانين ملياراً للدول الغنية.. وإن ما يتم سداده للأغنياء يمثل اقتطاعاً أليماً وقاسيا من القوت الضروري لاستمرار الحياة والوجود لهذه الشعوب، ولا يزال الغرب يرى أن الاستنزاف الصارخ للبقية الباقية من مقومات التنمية والوجود في دول العالم الثالث هو الحل الأمثل .

(الاهرام ووكالات الأخبار ١٩٨٩/٩/٣٠)

والشواهد كثيرة جداً على عنصرية الغرب واستعلائه؛ منها موقفه العدواني من قضايا الشعوب العادلة في فلسطين وجنوب إفريقيا ولبنان، وكشمير والبسنة والهرسك وغيرها... ومن الطرائف أن وكالات الأنباء أذاعت تصريحاً على لسان الدكتور روبرت هارتوج قال فيه إن نصف الأدوية التي تصنع في سويسرا وهي ثالث دولة منتجة للدواء في العالم - غير مطابق للمتطلبات العلاجية أو لأبحاث أو مواصفات مركبات العقاقير، وهذه الأدوية تباع لدول العالم الثالث، وبعضها خطير للغاية، والبعض الآخر بلا فائدة علاجية، كما أن كثيراً من الأدوية قد منعت الدول الغربية استعمالها في بلادها، وما زالت تنتجها وتصدرها إلى الشعوب النامية والفقيرة.

(الأهرام والأخبار في ١٩٨٩/٩/٣٠)

...والأمثلة تفوق الحصر.. وليس حظر تصدير التكنولوجيا إلى الدول الفقيرة، مع تدفق الأسلحة والعتاد إليها واستنزاف العقول البشرية منها، واستقطابها إلى الغرب.. مع الحرب الثقافية الضروس لاعادة تشكيل العقل والثقافة فى العالم النامى، بما يكرس تبعيته للغرب وذوبانه فيه، ليست إلا مجرد أمثلة من بين عشرات أخرى يمكن رصدها وإبرازها فى هذا الشأن.

ومما يستحق التأمل أن الأب الدومينكى الدكتور جورج قنواتى يصرح بأن الغزو الثقافى الغربى للعالم الاسلامى أسطورة كبرى وخرافة لا حقيقة لها ولا أساس!!...، ولا خطر على ثقافتنا؛ ولا خوف على شخصيتنا، ويضيف: أن الدعوة إلى محاربة الغزو الثقافى دعوة باطلة، وناتجة عن مركبات النقص والخوف،... وينصح الشباب الطموح ألا يكتفي بما ينقل إليه من تراث لا يستقيم إلا إذا تشبع بروح العصر!![1]

ورغم أن دعوى الأب قنواتى يعارضها الواقع من جهة، وتعارضها الدراسات الغربية نفسها[2] من جهة أخرى، فإن تصريحات الدكتور مصطفى هدارة التى نشرت فى نفس اليوم الذى نشر فيه تصريحات الأب المذكور جاء فيها: أن الاستشراق لا يزال يلعب دوراً مريباً فى توجيه الثقافة العربية، فضلاً عن الشبهة فى اتصاله الوثيق بأجهزة المخابرات الغربية ضد هذه الثقافة العربية؛ وذلك عن طريق فك الارتباط بالتراث وتشكيكنا فى قيمته وصلاحيته وأصالته، ثم عن طريق تركيز الاستشراق المعاصر على الأعمال الأدبية المتأثرة بالغرب فكراً

---

(١) (الوفد فى ٢١ / ٩ / ١٩٨٩) .

(٢) Hamilton A. R. Gibb, " The Reaction of the Middle East Against Western Culture" Paris , 1951.

وأداء يبين أن ثقافته هي التى سادت أخيراً؛ وكمثال على ذلك فإن حركة الحداثة بالمعنى الأيديولوجى التى سار وراءها أمثال (أدونيس) قد تركت آثاراً مدمرة فى اتجاهاتنا الأدبية المعاصرة التى أصبحت محاكاة للفكر الغربى، ولا تعبر عن مجتمعاتنا ولا شخصيتنا... بل تعجب عندما تجد كاتباً إسرائيلياً يكتب عن يوسف إدريس ويهاجم كل الذين انتقدوا جنوحه إلى العامية فى بعض أقاصيصه، وهو ما يذكرنا بالمعركة الاستشراقية القديمة الى حاولت فرض السيادة للعامية العربية على الفصحى؛ ليفقد العرب أحد مقومات وحدتهم، بل أهم هذه المقومات... وهو وحدة اللغة ووحدة الفكر.

ما مدى ارتباط هذه الحركة الاستشراقية بالمؤسسات المخابراتية؟

ـ لاشك أن حركة الاستشراق فى بداياتها كانت موجهة لمعرفة تفصيلات الحياة الاجتماعية والنفسية للشعوب الواقعة فى قبضة الاستعمار، بالإضافة إلى كل ما يقوم به الاستعمار من أمور سياسية ورصد اتجاهات الفكر،... والعناصر الإقتصادية، ثم عدل الاستشراق مساره، بعد أن دالت دولة الاستعمار، وحل محلها استعمار من نوع جديد، هو: استعمار الفكر، وتسليط المبادئ الاجتماعية، ونمط الحياة؛ وصولاً فى النهاية - إلى الخضوع السياسى والاقتصادى... وكانت (العلمانية) من بين الأغراض المهمة التى أراد الاستعمار بثها، عندما وجد أن الاسلام ـ خاصة - يرتبط باتجاهات الشعوب الاسلامية الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية... فكانت الخطوة الأولى " تحييد المسلمين بدعوى الليبرالية المطلقة، وعدم الخضوع للغيبيات " فيما يسمونه. وقد أثرت هذه الحركة على بعض المفكرين ووجدوا أن نمط الحياة الأوربية قد يكون مثلاً أعلى يحقق لمجتمعنا التقدم والرفاهية... ولكنهم أخذوا بالظاهر دون الجوهر.

وكانت هناك دعوات ـ ربما أخلص أصحابها فى اعلانها ـ كدعوة د. طه حسين إلى تعلم اللاتينية واليونانية حتى فى مدارسنا الثانوية تقليداً لنمط التعليم فى أوربا، بالاضافة لاتخاذ النمط الأوربى سبيلاً لحياتنا فى كل جوانبها، ولم يتحرج من الدعوة لخروج مصر من آسيا وإفريقيا إلى حوض البحر المتوسط!!.

لقد تطورت المخابرات الغربية تطوراً هائلاً فى السنوات الأخيرة ـ وأصبحت بحاجة لمعلومات قد تبدو تافهة فى نظر الآخرين، لكنها تستطيع أن تؤلف منها معلومات على قدر كبير من الخطر والأهمية ...، ولا شك أن وجود مستشرقين متخصصين فى العربية وآدابها، ومعظمهم يأتى للبلاد العربية، ويقيم فيها فترات قد تطول يجمعون قدراً كبيراً من المعلومات التى قد تفيد مؤسسات الاستخبار فى بلادهم.... وإن لم يكونوا كما كان أسلافهم من المستشرقين القدماء مرتبطين ارتباطاً كلياً بأجهزة هذه المخابرات أو متوجهين للدراسات العربية من أجل تحقيق هذا الهدف.

* وسئل: "معنى هذا أنك تتهم مؤسسات الاستشراق المعاصرة بارتباطها ببعض أجهزة المخابرات فى العالم؟ فأجاب: بالطبع[1] . "

وأسوق من جانبى حديث الرئيس الفرنسى (ميتران) الذى جاء فيه: " إن السوق الأوربية قد أقمناها من أجل حماية سموم الثقافة الأمريكية ومن خطر الإختراعات اليابانية...، وكما أن هناك هواء ملوثاً وماء ملوثاً، فالجو الأوربى ملوث بالتلفزيون الأمريكى!! ولا بد من الوقوف والمعارضة والصمود[2] " .

---

(١) (الأهرام فى ١٩٨٩/٩/٢١م) .

(٢) (الأهرام فى ٣٠/٩/ ١٩٨٩) .

أهـم مصادر البحث

أولا : فى اللغة العربية :

١ ـ ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، القاهرة ١٣٤٣هـ .

٢ ـ د. محمد مصطفى الأعظمى ، دراسات فى الحديث النبوى وتاريخ تدوينه ، ط ٣ ، ١٩٨١م (مجلدان) .

٣ ـ أفلاطون : الجمهورية ، ترجمة الدكتور فؤاد زكريا ، نشرة الهيئة المصرية العامة للكتاب .

٤ ـ بابا دوبولوس : تاريخ كنيسة أنطاكية ، ترجمة الأسقف اسطفانوس حداد ، نشرة مكتة النور ، بيروت .

٥ ـ القاضى أبو الوليد الباجى : رسالة راهب فرنسا إلى المقتدر بالله وجواب القاضى عليها ، تحقيق د. محمد عبد الله الشرقاوى ، دار الجيل ، بيروت ١٩٩١م ، طبعة رابعة .

٦ ـ رودى باريت : الدراسات العربية الاسلامية فى اللغة الألمانية: من المستشرق الألمانى تيودور نولدكه ، ترجمة د. مصطفى ماهر، نشر دار الكاتب العربى ، ١٩٦٧م .

٧ ـ د. صالح البنداق ، المستشرقون وترجمة القرآن الكريم ، طبعة دار الآفاق ، بيروت .

٨ ـ د. محمد البهى: المبشرون والمستشرقون، طبعة مكتبة وهبة بالقاهرة

٩ ـ ديبور : تاريخ الفلسفة فى الاسلام ، ترجمة د. أبو ريدة. نشرة مكتبة النهضة المصرية ، سنة ١٩٤٨م .

١٠ ـ محمد طاهر التنير البيروتى : العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية، تحقيق الدكتور محمد عبد الله الشرقاوى، دار الصحوة .

١١ ـ لويس جارديه والدكتور جورج شحاته قنواتى : فلسفة الفكر الدينى بين الاسلام والمسيحية ، ترجمة الدكتور صبحى الصالح ، وفريد جبر ، نشرة بيروت .

١٢ ـ عبد الرحمن الجبرتى : عجائب الآثار فى التراجم والأخبار ، طبعة القاهرة ، ١٣٢٢هـ .

١٣ ـ شارل جنبير : نشأة المسيحية وتطورها ، ترجمة الامام عبد الحليم محمود، نشرة دار المعارف ، بمصر .

١٤ ـ اجناس جولدزير : العقيدة والشريعة فى الاسلام ، ترجمة الدكتور محمد يوسف موسى وزميله ، القاهرة ، ١٩٤٨م .

١٥ ـ الفريد جيوم: الفلسفة والالهيات (الجزء الأول من تراث الاسلام) ترجمة الدكتور توفيق الطويل ، نسخة مصورة من طبعة لجنة الجامعيين للنشر بمصر .

١٦ ـ د. طه حسين : فى الأدب الجاهلى ، القاهرة ١٩٥٨م .

١٧ ـ رودنسون : (مقال فى التراث الاسلامى) شاخت وبوزورث، ترجمة زهير السمهورى ، جـ ١ ، الكويت ١٩٧٨م ، عالم المعرفة .

١٨ ـ د. محمود حمدى زقزوق ، الاسلام فى الفكر الغربى ، الكويت، ١٩٨١م

١٩ ـ د. محمود حمدى زقزوق ، الاستشراق والخلفية الحضارية ، كتاب الأمة ، الدوحة / قطر .

٢٠ ـ جورج سارطون : تاريخ العلم ، جـ ٣ ، ترجمة د. توفيق الطويل ، دار المعارف .

٢١ ـ د. قاسم السامرائى : الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية، دار الرفاعى بالرياض ، ١٩٨٣م .

٢٢ ـ سنتلانـا : دروس فى التعاليم الفلسفية ، نشرها د. عصام الدين محمد ، الرياض ، ١٩٨١م .

٢٣ ـ د. مصطفى السباعى : الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم ، نشر المكتب الاسلامى بدمشق .

٢٤ ـ د. مصطفى السباعى : السنة ومكانتها فى التشريع الاسلامى، ١٩٧٨م .

٢٥ ـ ادوارد سعيد : الاستشراق ، ترجمة كمال أبو ديب ، بيروت ١٩٨١م .

٢٦ ـ سوذرن : نظرة الغرب إلى الاسلام فى العصور الوسطى ، ترجمة د. علي فهمى خشيم ود. صلاح الدين حسنى ، مكتبة الفكر ، ليبيا ، ١٩٧٥م .

٢٧ ـ ابن شداد : النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، القاهرة، ١٣١٧هـ .

٢٨ ـ د. محمد عبد الله الشرقاوى : ترجمة وثيقة أندلسية عن اضطهاد النصارى للمسلمين الأندلسيين للمستشرق مونرو ، دار الهداية ١٩٨٦م .

٢٩ ـ د. عبد الجليل شلبى : الاسلام والمستشرقون ، دار الشروق بالقاهرة .

٣٠ ـ د. عبد الجليل شلبى : صور استشراقية، دا ر الشروق، ١٩٧٧م .

٣١ ـ الشيخ مصطفى عبد الرازق ، تمهيد لتارخ الفلسفة الاسلامية ، ط ٣ ، مكتبة النهضة المصرية .

٣٢ ـ د . عرفان عبد الحميد ، المستشرقون والاسلام ، ط ٢ ، المكتب الاسلامى بدمشق .

٣٣ ـ نجيب العقيقى : المستشرقون ، نشرة دار المعارف بمصر ، الطبعة الرابعة (٣ مجلدات) .

٣٤ ـ د. أحمد عبد الحميد غراب ، رؤية اسلامية للاستشراق ، نشرة دار الاصالة بالرياض وأكسفورد .

٣٥ ـ د. محمد غلاب : نظرات استشراقية فى الاسلام .

٣٦ ـ د. عمر فروخ ود. مصطفى الخالدى: الاستعمار والتبشير، ط ٢، المكتبة العصرية ببيروت .

٣٧ ـ جيمس فريزر : الفلكلور فى أسفار العهد القديم ، ترجمة د. نبيلة إبراهيم ، نشر دار المعارف .

٣٨ ـ د. عمر حسن فلاتة ، الوضع فى الحديث النبوى ، مكتبة الغزالى ، ١٩٨١م (ثلاثة مجلدات) .

٣٩ ـ ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، القاهرة ، ١٣٦٤هـ .

٤٠ ـ يوسف كرم : الفلسفة الأوربية فى العصر الوسيط ، نشر دار الجيل ، بيروت .

٤١ ـ الامام د. عبد الحليم محمود : أوربا والاسلام ، طبعة دارالمعارف بمصر .

٤٢ ـ د. عبد الحميد مدكور : دراسات فى الفكر الاسلامى ، نشر مكتبة الزهراء ، ١٩٩٠م .

٤٣ ـ مناهج المستشرقين فى الدراسات الاسلامية ، (مجلدان) نشر مكتب التربية العربى لدول الخليج .

٤٤ ـ مالك بن نبى : انتاج المستشرقين ، القاهرة ١٩٧٠م .

٤٥ ـ نيكلسون : الصوفية فى الاسلام ، ترجمة الاستاذ نور الدين شريبة ، القاهرة .

٤٦ ـ محمد حسين هيكل ، حياة محمد ، طبعة القاهرة .

٤٧ ـ د. كمال اليازجي : يوحنا الدمشقي وآراؤه اللاهوتية ومسائل علم الكلام ، نشرة مكتبة النور ، بيروت ١٩٨٤م .

ثانياً : في اللغة الانجليزية :

1 __ Anwar Abdulmalek , Orientalism in Crisis , 1963, (Diogenes 44) .

2 __ Arberry , The Quran Interpreted , Oxford , 1964 .

3 __ A. J. Arberry : The Cambridge School for Arabic , 1948

4 __ Tor Andrae , Muhammad : The Man and his Faith , New York , 1936 .

5 __ R. Bell , The Quran : Translated with a Critical Rearrangement of the Surahs , Edinburgh , 1937 .

6 __ Blachere , The Problem of Muhammed , 1952 .

7 __ Conferences of Christian Workers Among Moslems, 1924

8 __ M . Cook , Muhammad , 1983 .

9 __ K. Cragg , Islamic Survey , Edinburgh , 1965 .

10 __ Norman Daniel , The Arabs and Medieval Europe , London , 1975 .

11 __ Norman Daniel , Islam and the West , Edenburgh , 1960 .

12 __ Francis Dovernik , The Ecumenical Councils , New York , 1961 .

13 __ J . Fuek , The Originality of the Arabian Prophet , Oxford Univ, Press , 1981 .

14 __ Gibb _ Coulson , A history of Islamic Law, Edinburgh, 1904 .

15 __ H. A. R. Gibb , Orientalism Studies in U. K. Cambridge, 1951 .

16 __ Hamilton Gibb , The reaction of the Middle East Against Western Culture , Paris , 1951 .

17 __ H. A. Gibb , Muhammadanism , London , 1947 .

18 __ H. A. Gibb, Studies on the Civilization of Islam, Edited by Stanford J. Shaw , Lahore 1987 .

19 __ Ignaz Goldziher , Muslim Studies , London , 1967 _ 1971 (2 Vols) .

20 __ Goitein , Jews and Arabs , New York , 1955 .

21 __ Mortimer Graves , A Cultural Relations Policy in the Near East , 1950 .

22 __ Guillaume , New Light on the Life of Muhammad , Manchester ,

23 __ A. Guillaume , The Traditions of Islam, An Introduction to the Study of the Hadith literature , Oxford , 1924 .

24 __ Hengel , Judaism and Hellism , London , 1974 SCM .

25 __ John Hick , (Editor) the Myth of God Incarnate, SCM, 1985 .

26 __ Dr. Philip Hitti , Islam and the West , an Historical Cultural Survey , Princeton , U.S.A 1962 .

27 __ Albert Hourani , Islam in European Thought, Cambridge University Press. 1991 .

28 __ Juynboll , The Authenticity of the tradition Literature Discussions in Modern Egypt, Lieden , 1968 .

29 __ H. Kramer , Religion and the Christian Faith , London, 1956 .

30 __ The Cambridge History of Islam , 1971 .

31 __ James Kritzeck , Peter the Venerable and Islam , Princeton , 1964 .

32 __ Levonian , Islam and Christianity , London , 1940.

33 __ Mackdonald , Whither Islam ? (Muslim World, 1933).

34 __ Mackdonald , Development of Muslim Theology, 1965.

35 __ George Makdisi , Hanbalite , See : Studies on Islam, Translated and Edited by Marlin L. Swartz , New York .

36 __ Margaret Marcus , Islam and Orientalism , Anarki __ Lahore , 1981 .

37 __ Nicholson , A Literary History of the Arabs , Cambridge , 1962 .

38 __ Nicholas P. Agnides , An Introduction to Muhammadan Law and Bibliography , SMP . 1981 , Lahore.

39 __ Rudi Parret, European Research on Life and Work of Prophet Muhammad, JPHS. Pakistan, 1958 .

40 __ Richter, A History of Protestant Missions in the Near East, 1910 .

41 __ Roper Hugh, The Rise of Christian Europe, England, 1973 .

42 __ Maxime Rodinson, A critical Survey of Modern Studies on Muhammad .

43 __ Maxime Rodinson, Mohamed, (English Trans. Peguin, 1971 .

الفهرس

الموضوع رقم الصفحة

# # #

مؤلفات الدكتور / محمد عبد الله الشرقاوى

أولاً : دراسات :

١ - فى مقارنة الأديان ط ٢ دار الجيل بيروت ١٩٩٠ م .

٢ - الإيمان ط ٢ دار الجيل بيروت ١٩٩٠ م .

٣ - مدخل نقدى لدراسة الفلسفة ط ٢ دار الجيل بيروت ١٩٩٠ م .

٤ - القرآن والكون ط ٣ دار الجيل - بيروت ١٩٩٠ م .

٥ - الاستشراق . دراسات تحليلية تقويمية ط ١ دار الفكر العربى بالقاهرة .

٦ - الفكر الأخلاقى . دراسة مقارنة ط ٢ دار الجيل بيروت ١٩٩٠م.

٧ - الأسباب والمسببات فى الفكر الإسلامى (رسالة دكتوراه بدار العلوم ١٩٨١) ط١ دار الجيل بيروت .

٨ - الصوفية والعقل (رسالة ماجستير بدار العلوم ١٩٧٨) ط١ دار الجيل بيروت .

٩ - الاتجاهات الحديثة - فى دراسة التصوف الإسلامى ط١ دار الفكر العربى بالقاهرة .

١٠ - منهج نقد النص بين ابن حزم واسبينوزا ط١ دار الفكر العربى بالقاهرة .

١١ - دراسات فى الملل والنحل ط٢ دار الفكر العربى بالقاهرة .

ثانيًا تحقيقات علمية :

١٢ - تحقيق كتاب (الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل) لأبى حامد الغزالى ط٣ دار الجيل بيروت .

١٣ - تحقيق كتاب (إفحام اليهود) للسموأل بن يحيى المغربى - كان حبراً يهوديًا فأسلم ط٣ دار الجيل بيروت .

١٤ - تحقيق (رسالة راهب فرنسا إلى المسلمين وجواب القاضى أبى وليد الباجى عليها) ط٣ الرياض .

١٥ - تحقيق كتاب (النصيحة الإيمانية فى فضيحة الملة النصرانية) لنصر بن يحيى المتطيب - كان عالماً نصرانيًا فأسلم ، نشرة دار الصحوة بالقاهرة .

١٦ - تحقيق كتاب (المختار فى الرد على النصارى) للجاحظ ط٢ دار الجيل بيروت .

١٧ - تحقيق كتاب (العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية) ط٢ دار الجيل بيروت .

١٨ - تحقيق كتاب (مسالك النظر فى نبوة سيد البشر) تأليف سعيد بن حسن الاسكندرانى كان يهودياً فأسلم - ط٢ مكتبة الزهراء بالقاهرة .

١٩ - الكنز المرصود فى فضائح التلمود ط٢ دار الجيل بيروت .

٢٠ - ترجمة - دراسة جيمس مونرو لوثيقة أندلسية حول سقوط غرناطة - ط٢ درا الجيل بيروت .

ثالثاً : تحت الطبع :

٢١ - ابن الأبنارى وآراؤه الكلامية .

٢٢ - مقارنة الأديان - الكتاب الثانى .

٢٣ - فى الفكر الإسلامى المعاصر - تحليل وتقويم .